



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم
دراسة موضوعية وفنية
بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالبة
فوزية بنت عبد الله بن عايض المنتشري الشمراني
الرقم الجامعي 42580273

إشراف الدكتور/ حبيب حنش الزهراني
1430هـ - 1431هـ
2009م - 2010م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

يعد العلم بالآداب والأخلاق الإنسانية أهم ما عني به الإنسان عبر التاريخ ، وقد قام العلماء والفلاسفة بدراساتها على مر العصور ، فسقراط أبو الفلاسفة - مثلاً - قام بدراساتها من منظور عقلي كعادته ، أما أبو حامد الغزالي ، الفيلسوف المسلم ، فقد تناولها من منظور إسلامي ذي صبغة صوفية ، وأما أنا في بحثي المتواضع فسوف أتناولها من خلال فن من أرقى الفنون وأكثرها انتشاراً بين الناس وهو الشعر .

فالشعر كغيره من أنواع الفنون سلاح ذو حدين ، بإمكان الشاعر أن يستخدمه من أجل أغراض سامية وأهداف نبيلة ، وبإمكانه أن يجعل منه آفة لنشر الفساد في المجتمع . وقد كان الشاعر المصري حافظ إبراهيم من أهم شعراء المدرسة التقليدية المحافظة الذين تحدثوا عن الأخلاق في شعرهم ، وإن جاء ذلك في شعره على شكل أبيات تتخلل في أثناء قصائده ، إلا أنه كثير جداً .

ولم أكن أتوقع وأنا في السنة الأولى من مرحلة الماجستير بأي سأختار أحد شعراء الاتجاه المحافظ في العصر الحديث ليكون موضوع بحثي ، غير أن مرشدي الفاضل الأستاذ الدكتور / مصطفى عناية ، اختار أن يكون موضوع بحثي " الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم " وقد أدركت صواب اختيار أستاذه ومدى بعد نظره بمجرد ما بدأت أقرأ حول الموضوع ، فقد وجدت انه يجمع ما بين فلسفة الأخلاق وفن الشعر ، وهو بذلك يفتح أفقاً واسعة وجديدة أمام الباحث ، لذا فأنا شاكرة لأستاذه اختياره الصائب ، فضلاً عن مجهوده الكبير معي .

ولقد استمد هذا الموضوع أهميته من أن حافظ إبراهيم - فيما يبدو لي - أهم شاعر في العصر الحديث تناول في شعره مشكلات المجتمع وأخلاقه وقيمه ، وذلك مثل الحث على التكافل والشجاعة وقوة العزيمة والصبر والوفاء وتقوى الله والعدل والتواضع والمروءة والرحمة وغير ذلك من فضائل الأخلاق ، كما انه - أيضاً - حارب الظلم والتواكل والغدر والكذب والبخل وغيرها من المفاسد الخلقية التي أخذت بالانتشار في المجتمع المصري ، كما أن حافظ إبراهيم تميز بحسه الإنساني العالي وحبته لمشاركة الشعب في أفراحه وأحزانه ومعاناته من خلال شعره .

كما أن الموضوع يستمد أهميته - أيضا - من قلة البحوث العلمية التي تناولت الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم . فلقد بحثت كثيراً ولم اعثر على أي دراسة عن الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم على الرغم من كثرة هذا اللون من الشعر في ديوانه ، وتصويره لكثير من شئون مجتمعه وقضايا عصره . لهذا كله اقتنعت أن هذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث .

يقوم صلب هذا البحث على جل الفضائل التي تحدث عنها حافظ في ديوانه بالدراسة والبحث ، إضافة إلى الرذائل التي حاربها في شعره وسأتبع في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي .

كما أن طبيعة هذا البحث الأدبي اقتضت أن تقوم على الدراسة الموضوعية للأبيات التي تحدث فيها حافظ عن الأخلاق ، وسأتبع فيه المنهج الوصفي التحليلي إن شاء الله ، في إطار دراسة انتقائية تدل دلالة صادقة على الفضائل الخلقية في شعر حافظ . معتمداً في دراستي على ديوان حافظ إبراهيم النسخة التي صححها وشرحها ورتبها كلٌ من أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإياري ، الطبعة السابعة المطبوعة بالمطبعة الأميرية بالقاهرة سنة 1955م وتتميز هذه النسخة بأنها محققة من قبل أساتذة أفاضل ومعروفين بالأمانة العلمية فكل معلوماتها صحيحة ودقيقة كما أنني اعتمدت على نسخة أخرى من ديوان حافظ إبراهيم وهي طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ وشوقي في المبحثين الأخيرين (الموسيقى واللغة) بشكل كلي وذلك لأن هذه النسخة لم تصلني إلا بعد أن أهديت مبحث الصور الفنية . كما أن دراسة الموسيقى تحتاج إحصائية دقيقة للبحور الشعرية التي نظم عليها حافظ وكان لا بد أن تدخل القصائد التي لم تنشر ضمن هذه الإحصائية ولا سيما أن دراستي دارسة حديثة ومتزامنة مع نزول النسخة الجديدة من الديوان أما الفصل الأول فقد اكتفيت بان أضيف له بعض الأبيات التي تحدث فيها حافظ عن الأخلاق من القصائد التي لم تنشر لأني وجدت فيها شيئاً مختلفاً عما سبق ذكره وكل ما يميز هذه النسخة من الديوان هو احتواؤها على هذه القصائد التي لم تنشر من قبل .

وقفت طويلاً مع شعر حافظ وبعد جمع مادة الموضوع منه وتأملها ملياً ظهر لي أن خطة البحث يجب أن تكون على النحو التالي : -

المقدمة :

وتتناول أهمية البحث ودوافع الكتابة فيه وخطة البحث ومنهجه .

التمهيد :

يتناول سيرة حافظ إبراهيم و مفهوم الأخلاق ومضامينها في الشعر .

المبحث الأول : الفضائل .

- التكافل
- الشجاعة
- الوفاء
- الصبر
- قوة العزيمة
- العدل
- التقوى
- الإخاء
- الكرم
- الإباء
- التواضع
- الرحمة
- المروءة
- الصدق
- الأمانة
- ألوان أخرى

المبحث الثاني : الرذائل

- الظلم .
- التواكل .
- الغدر .
- الكذب
- البخل
- ألوان أخرى

الفصل الثاني : الدراسة الفنية

المبحث الأول : الصورة .

- مفهوم الصورة الفنية ووظائفها .
- الصور الفنية في شعر حافظ
- الاستعارة
- الاستعارة التصريحية
- الاستعارة المكنية
- التشبيه
- التشبيه المرسل
- التشبيه الضمني
- التشبيه البليغ
- المجاز

- المجاز المرسل
- الكناية
- الكناية عن الصفة
- الكناية عن الموصوف
- المبحث الثاني : الموسيقى

أولاً : الموسيقى الخارجية

- الأوزان
- القوافي
- قواف مطلقه
- قواف مقيدة
- عيب القافية
- الإيطاء
- سناد التوجيه
- الإقواء

ثانياً : الموسيقى الداخلية

- التصريح
- رد الأعجاز على الصدور
- الجناس
- الطباق

المبحث الثالث : (اللغة)

- الأفكار والمعاني
- المعجم الشعري
- الظواهر اللغوية
- الأساليب البديعية
- الاقتباس
- التضمين
- المبالغة
- المقابلة
- التقسيم
- الترصيع
- التكرار
- تقليد القدماء
- الفكاهة والصور الكاريكاتورية
- الأساليب الإنشائية
- الاستفهام
- الأمر
- النهي
- النداء
- التمني

- الخاتمة
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

- من أبرز الصعوبات التي واجهت بحثي هي : كثرة المراجع التي تناولت حافظ إبراهيم بالدراسة ولكن لم يعد طبعها وبالتالي لم تعد موجودة في الأسواق وعدم احتواء ديوان حافظ إبراهيم في جميع نسخه على تصنيف لبحور الشعر التي نظم عليها حافظ . لذلك اعتذر من أي تقصير أو خطأ وقعت فيه كما أنني أشكر الجامعة جزيل الشكر على ما قدمته لي من تسهيلات في سبيل انجاز بحثي وشكر خاص لأساتذتي الأفاضل الذين لم يبخلوا عليّ بإرشاداتهم وتوجيهاتهم ومساعداتهم الأستاذ الدكتور / مصطفى حسين عناية ، والدكتور / حبيب حنش الزهراني .



حافظ إبراهيم

ولادته ونشأته:

ذكر في مقدمة الديوان أن ولادة محمد حافظ كانت في ذهبية بالنيل ، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد ، أبوه إبراهيم فهمي مصري صميم يعمل مهندساً في ديروط وأمه هانم بنت أحمد البورصة لي من أسرة تركية الأصل . ولم يعرف تاريخ ميلاد حافظ على وجه الحقيقة ؛ لكن قدر ميلاده بأنه في 4 فبراير سنة 1872م وهذا التاريخ على وجه التقريب لا التأكيد .

عاش حافظ حياة اليتيم والحرمان حيث فقد أباه وهو في سن الرابعة، فانتقل مع أمه للعيش في بيت خاله في القاهرة، وهناك التحق بعدد من المدارس كان آخرها المدرسة الخديوية ولكنه لم يطيل المقام فيها؛ لأن خاله انتقل إلى طنطا وانتقل حافظ وأمه معه ، وفي طنطا ظل حافظ شاباً عاطلاً ؛ بلا مدرسة ولا عمل؛ مما دعا خاله إلى أن يشعره بأنه أصبح عبئاً عليه، فتوجه حافظ للعمل في المحاماة ، وترقى بين عدد من مكاتب المحامين، ثم تركها والتحق بالمدرسة الحربية، وتخرج منها برتبة ملازم أول ، وعين في الحربية، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ (بوليس) في بني سويف ، ثم الإبراهيمية ، ثم أعيد للحربية، وسافر منها إلى السودان حيث لم يطق حافظ جو السودان ولا جفاء العيش فيها ؛ فتمرم وأكثر من الشكوى، حتى حدثت ثورة السودان عام 1899م واتهم فيها ثمانية عشر ضابطاً ، كان من بينهم حافظ فحوكوا وأحيلوا إلى الاستيداع ، ثم التمس حافظ إحالته إلى المعاش فأجيب طلبه ، ثم سعى له أحدهم للعمل في جريدة الأهرام، إلا أن ذلك لم يتم لأسباب مجهولة ، وظل حافظ بلا عمل ملازماً للإمام محمد عبده (1266-1323هـ)، ويغشى مجالس الأدباء والعظماء يسمع منهم ، ويغني لهم شعره وأدبه، إلى أن ساعده أحمد حشمت باشا⁽¹⁾ سنة 1911م وعينه رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها حتى فبراير سنة 1932م، إذ أُحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو عشرين سنة، وفي بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفي حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس 21 يولييه 1932م أي بعد إحالته على المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف⁽²⁾.

(1) أحمد حشمت : 1858-1926م - كان وزير المعارف في تلك الفترة تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية حتى - وآخر منصب تولاه نظارته للمعارف العمومية . هامش الديوان 127/1 وسوف يكون هامش الديوان هو مرجعي الوحيد في الترجمة للشخصيات التي تحدث عنها حافظ لأن الترجمة الموجودة في هامش الديوان - في رأي- موجزة ووافية بالتعريف الموجز ، وكتبها علماء موثوق بهم ، كما أنهم مصريين وقربيين من الشاعر وعصره .

(2) أنظر: مقدمة ديوان حافظ إبراهيم ضبطه وصححه وشرحه ورتبه : أحمد أمين / أحمد الزين / إبراهيم الايباري - ط7 - 1955م - المطبعة الأميرية - القاهرة (بتصرف) .

صفاته:

وصف حافظ بأنه " كان أسمرًا طويلًا ، عريض المنكبين ، مفتول الساعدين ، مستحکم الخلقه والتركيب ، سمحاً بسيطاً إلى أبعد الحدود ، محباً للناس راغباً في صحبتهم والتحدث إليهم دونما حرج أو كلفة " (1).

ومن أه م الصفات التي تميز بها حافظ الكرم فقد كان كريماً جواداً وفي ذلك ذكر له العديد من القصص منها أنه ذات يوم مرّ به سائل سأله من مال الله فوهب له جنيهاً ذهبياً ، وما أبقى لنفسه إلا قروشاً معدودة هي أجرة العربة التي نقله إلى منزله (2).

وفي إحدى المقاهي رأى المازني (1889-1949م) من حافظ إبراهيم ما أدهشه ، فقد حضر أحدهم وأسر إلى حافظ بكلمة ، فقام حافظ من محله وانتحى به جانباً وأخ رج له حافظه نقوده وسلمها له ، وعاد إلى مجلسه ففتحها الرجل وأخذ من الجنيهات الذهبية ما شاءت له نفسه أن تأخذ ، ثم أعادها إلى حافظ ، فتركها حافظ على ساقه مدة ثم أعادها إلى جيبه من غير أن ينظر فيها (3). وغير ذلك من القصص التي تشهد بكرم حافظ الفياض والشهامة والرجولة التي كان يتمتع بها .

كما كان حاضر النكتة خفيف الظل محباً للفكاهة والدعابة فقد " سمع يوماً خليل مطران (1872م - 1949م) يشرح للناس سبب التشويه في أنفه ، وأن هذا يرجع إلى أيام صباه ، يوم كان فارساً لا يشق غباره ، ما حمل حافظاً على التعليق قائلاً : وأخوك جورج ما باله ؟ أكان على ظهر حمار ورائك فجمع به الحمار؟! " (4)

كما عرف حافظ بسرعة الحفظ وقوة الذاكرة فقد " كان يسمع الفقيه في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طه ، فيحفظ ما يقول ويؤديه كما سمعه بالقراءة التي قرأ بها الفقيه " (5).

وقد اجتمعت فيه الصراحة والخوف حيث كان من أكثر الناس " وأعظمهم قسطاً من الصراحة ما وسعته الصراحة ، فإن ضاقت به فالخوف الصريح ، والإشفاق الذي لا غب عليه " (6).

(1) حافظ إبراهيم حياته وشعره - د. يحيى شامي - ص17- ط1 - 1995م - دار الفكر العربي - بيروت .

(2) المرجع السابق - ص18 .

(3) بؤس حافظ بين الحقيقة والوهم - أحمد محمد علي - ص99- فصول - المجلد الثالث - العدد الثاني - يناير - فبراير - مارس - 1983م .

(4) حافظ حياته وشعره - د / يحيى شامي ص19 .

(5) ليالي سطوح - حافظ إبراهيم ص53 - مع دراسة تاريخية تحليلية للعصر والكاتب بقلب عبدالرحمن صدقي - الدار القومية للطباعة والنشر - 1384هـ - 1964م - القاهرة .

(6) حافظ وشوقي - د. / طه حسين - ص194 - ط2 - 1953م - مطبعة دار الجهاد - القاهرة .

كان شبح الخوف مسيطراً على حافظ " وكان لسذاجته يرعبه الخوف من التوافه ، ويعتقد في أمور غريبة ، فقد ذكر بعض أصدقائه أنه كان يعتقد أن نفحة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شمه وأكله " (1) .

" ومن أبرز صفات حافظ التردد وعدم الإدلاء برأي قاطع في أمر من الأمور ، وهذه الصفة وثيقة الصلة بصفة الخوف لأنه كان يشفق على نفسه من أن يغضب أصحاب اليمين إذا أيد أصحاب الشمال " (2) .

كما كان لا يحفظ أسرار أصدقائه فكثيراً ما كان يفضي أسرارهم " فإذا لامه صديق على إفشاء سر أجابه قائلاً : ومن الذي حملك على قوله لي ؟ " (3) .

كما عرف أيضاً بأنه رجل اجتماعي يحب الاختلاط بالناس على تباين طبقاتهم فقد كان يجالس الساسة والمثقفين من كبار الشخصيات المصرية وكانت صلته قوية جداً مع عدد كبير منهم إلا أنه لم ينسى أصدقائه البسطاء من الناس العاديين وهذا يدل على وفائه وإخلاصه لأصدقائه ونفسه البسيطة التي لا تعرف الغرور (4) كما كان سريع الغضب سريع الرضا ، يتحول في لحظات من الحال إلى نقيضها كما عرف بلسانه السليط فقد كان له هجاء يناول فيه خصومه وكل من يغضبه بقوارص الكلم (5) .

(1) حافظ إبراهيم شاعر النيل - د/ عبد الحميد سند الجندي - ص 49 - ط 4 - دار المعارف - القاهرة .

(2) المرجع السابق - ص 55 .

(3) المرجع السابق - ص 59 .

(4) المرجع السابق - ص 61 (بتصرف) .

(5) المرجع السابق - ص 53-59 .

مفهوم الأخلاق

الخلق في اللغة " السجية والطبع والمروعة والدين " (1).

وهذا يعني أن الأخلاق منها ما هو من أصل فطرة الإنسان ، ومنها ما هو مكتسب قد يكون مكتسب من البيئة والتربية ، أو من المرجعية الدينية للإنسان ، ويدل هذا - أيضاً - على اتساعها وتشابكها وتشابها ، ولعل ذلك كان وراء اختلاف الناس - بل الأمم - في تحديدها ، وما يحمدها وما يعاب . بيد أن الإسلام بشموله وإنسانيته جعل الأخلاق ركناً للحياة الإنسانية السوية ، ولذا قال سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾** (2)

وقد فسر الدكتور محمد سليمان الأشقر هذه الآية بقوله " المعنى : أنك على الخلق الذي أمرك الله في القرآن " (3). ثبت عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن . (4)

فأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم هي كل ما جاء في القرآن ، وأخلاقنا نحن المسلمين مستمدة من القرآن والسنة النبوية المطهرة ، نأتمر بما أمرنا به ونبتعد عما نهانا عنه .
وقد عرف الإمام أبو حامد الغزالي (450-505 هـ) الخلق بقوله " الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً " (5).
وقد تميز الغزالي بأنه ذو نزعة صوفية ، ويعتقد أن من الناس من يولد حسن الخلق بالفطرة كالأنبياء ، ويرى أن الطريق إلى تربية الخلق هو التخلص وغاية الأخلاق عنده السعادة الأخروية (6)

(1) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - طاهر أحمد الزاوي (خلق) - ط 1 - 1959م - مطبعة الرسالة

- عابدين .

(2) القلم 4

(3) زبدة التفسير بامامش مصحف المدينة النبوية - ص 564 - الطبعة الشرعية الوحيدة - دار الفنائس - الاردن .

(4) الأدب المفرد - الإمام أبي عبد الله محمد البخاري - ص 148 تحقيق د/ علي عبد الباسط مزير- علي عبد المقصود رضوان - ط 1-1423 هـ - 2003م مكتبة الخانجي - القاهرة

(5) إحياء علوم الدين - 39/3 - طبع بالمطبعة العامرية بمصر المحمدية - 1326 هـ

(6) الأخلاق عند الغزالي - د/ زكي مبارك- ص 115-116-122 - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .

كما عرف الدكتور مقداد يلجن الأخلاق الحسنة بقوله " الأخلاق الحسنة هي أنماط السلوك الحسن الخيّر والمعروف في الحياة، سواء كان هذا السلوك ظاهراً أو باطناً يصدر من الإنسان بإرادة ويهدف إلى تحقيق غاية"

ولم يقتصر الحديث عن الأخلاق الفاضلة والدعوة إليها على القرآن والسنة أو على كتابات المفكرين والفلاسفة، بل أيضاً الشعراء في مختلف العصور، كانوا يدعون إلى الأخلاق الفاضلة في أشعارهم؛ فهذا زهير بن أبي سلمى في العصر الجاهلي يصف سيدي مرة وعشيريتهما بالكرم الفياض والعطاء الذي لا يعرف حدوداً⁽¹⁾:

هم خيرٌ حيٌّ في معدِّ علمتهم لهم نائلٌ في قومهم ولهم فضل⁽²⁾

وهذا يدل على أن العرب في الجاهلية وقبل ظهور الإسلام كان لديهم أخلاق عربية فاضلة يفخرون بها، فجاء الإسلام وأقرها ولذلك يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁽³⁾.

فالإسلام دين الأخلاق لأنه عبارة عن جملة من الأخلاق الكريمة الصالحة للتطبيق في كل مكان وزمان.

وبعد ظهور الإسلام نجد أنه اتسع مفهوم الأخلاق في الشعر العربي، لأن الإسلام أضاف إلى الأخلاق العربية الحميدة أخلاقاً إسلامية، كما أنه حرّم بعض عادات وأخلاق العرب الفاسدة، كما أن المسلمين أصبحوا يتمثلون هذه الأخلاق الكريمة من أجل إرضاء الله، وليس من أجل التفاخر وكسب السمعة بين الناس، وقد ظهر في صدر الإسلام ارتباط الناس والشعراء - أيضاً - بالأخلاق الإسلامية، وتمثلوا قيمه الاجتماعية التي جاء بها، تقول الدكتورة: وفاء فهمي السنديوني في هذا " وقد عبر الشعراء في صدر الإسلام عن ارتباط الأخلاق بالدين، وأكدوا أن تعاليم الإسلام تسمو بالنفس الإنسانية عن الدنية، وتحث المسلمين على عمل الخير ويبدو ذلك في قول أبي الأسود الدؤلي (.....) 69 هـ):

وإني لتشيبي عن الجهل والخيبي وعن شتم ذي القربى خلائق أربع
حياءً وإسلاماً وتقياً وأنبي كريمٌ ومثلى قد يضرُّ وينفَع

فقد عرض أبو الأسود الدؤلي لنوازع النفس الإنسانية، وأنها قادرة على الخير والشر والنفع والضرر،

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة الإمام أبي العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني - ص 109 - مطبعة دار الكتب المصرية - 1363 هـ - 1944 م - القاهرة .

(٢) نائل : العطاء . هامش الديوان ص 109 .

(٣) السنن الكبرى - الإمام أبو بكر أحمد بن حسين علي البيهقي - 192/10 - في ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني - دار الفكر .

وإنما الذي يوجهها إلى الخير وإلى الخلق القويم هو إتباع الإسلام، والالتزام بالتقوى⁽¹⁾.
وهذا الفرزدق (38-110هـ) في العصر الأموي يمدح أحد الولاة بأنه عادل لأنه يتبع سنة النبي
صلى الله عليه وسلم⁽²⁾ :

كم حلّ عدلٌ سرّته
من مغرمٍ ثقلٍ ، ومن إصرٍ
هذا - أيضاً - أبو العتاهية (130-210هـ) في العصر العباسي يحث على الانفاق في سبيل الله
ومساعدة الآخرين والتواضع⁽³⁾ :

وإذا اتسعت بررق ربك فاجعلن
في الأقربين وفي الأباغ عد تارةً
وارع الجوار لأهلِهِ متبرّعاً
واخفض جناحك إن رزقت تسلطاً
ومنه الأجل لأوجه الصدقات
إن الزكاة قرينة الصلوات
بقضاء ما طلبوا من الحاجات
وارغب بنفسك عن هن وهنات
ونجد ابن دراج القسطلي⁽⁴⁾ في الأندلس يهنئ أحد الملوك بفتوحاته وواصفاً إياه بقوة العزيمة والشجاعة
في الحرب والجهاد في سبيل الله⁽⁵⁾ :

بعزائم في الرّوع قحطانية
جرّدت للإسلام فيه صارماً
وسلّته لله فيه سلّة
ولا يكاد ينقطع الشعر عن الأخلاق في العصور الإسلامية المتأخرة ، فهذا صفى الدين الحلبي⁽⁶⁾ يصف
أحد السلاطين بصدق الوعد والوفاء⁽⁷⁾ :

هو صادق الوعد الذي لوفائه
نستشهـ الأيات والتّويلا

-
- (1) شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية- د/ وفاء فهمي السنديوني - ص 298 - ط2- 1995م - كميوجرافك أرت
سنتر للجمع التصويري والطباعة المتميزة - القاهرة .
- (2) ديوان الفرزدق 293/1 - قدم له وشرحه مجيد طراد - 1427 هـ - 2006م - دار الكتاب العربي - بيروت .
- (3) أبو العتاهية أشعاره وأخباره- ص 59-60 - طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تنشر من قبل - عني بتحقيقها د.شكري
فيصل - مطبعة جامعة دمشق - 1384هـ - 1965م - دمشق
- (4) ابن دراج القسطلي : (347-421هـ) هو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي كان كاتب المنصور ابن أبي عامر
وشاعره . مقدمة الديوان 5 .
- (5) ديوان ابن دراج القسطلي- ص 454- حققه وعلقه عليه وقدم له د/ محمود علي مكّي - ط1 - منشورات المكتب الإسلامي -
دمشق .
- (6) صفى الدين الحلبي " (677-752هـ) هو أبو المحاسن عبدالعزيز بن سرايا الطائي السننسي ولد في الحلة في العراق ، ومات في
بغداد ، وكان شيعياً قحاً . مقدمة الديوان 5 .
- (7) ديوان صفى الدين الحلبي- ص 582 - دار بيروت للطباعة والنشر - 1403 هـ - 1983م - بيروت .

وبذلك نجد أن الأخلاق بعد ظهور الإسلام أصبحت ذات مرجعية دينية مستمدة من القرآن والسنة ويقصد بها رضا الخالق . وأن الحديث عن الفضائل الخلقية في الشعر العربي موجود في جميع العصور، ولكنه في العصر الإسلامي وما بعده قد ارتبط بالدين ارتباطاً وثيقاً وكذلك هو - أيضاً- في العصر الحديث، وخاصة مع دخول مظاهر الحضارة والترف الغربية إلى الدول العربية من جراء الاستعمار وما جلبه معه من عادات مختلفة عن العادات العربية وعن طبيعة الحياة في الشرق ، لذلك احتاج الشعراء إلى ذكر الفضائل الخلقية الإسلامية في أشعارهم للتذكير بها والدعوة إليها ، وقد كان الشاعر المصري حافظ إبراهيم من أبرز الشعراء الذين تحدثوا عن الأخلاق في أشعارهم ، وقد أشار إلى ذلك العديد من معاصريه، وخاصة الشعراء الذين رثوه، ومن أهمهم أحمد شوقي (1868-1932م) الذي قال في رثائ⁽¹⁾ :

يا منصرف الموتى من الأحياء	قد كنت أوثر أن تقول رثائ ^ي
بالحق تحفل عند كل نداء	ألحق نادى فاستجبت ، ولم تنزل
جمّ المآثر ، طيب الأنباء	وأخذت قسطاً من مناحـة ماجد
وإمام من نجلت من البلغاء	ياحافظ الفصحى ، وحارس مجدها
حتى حميت أمانة القدماء	مازلت تهتف بالقديم وفضله
وأجلهن شجاعة الآراء	رتب الشجاعة في الرجال جلائل

ونظراً لاهتمام حافظ إبراهيم بالأخلاق في شعره فقد استحققت أن تخص بالدراسة .

(١) ديوان أحمد شوقي 195/3 - 1999 - 200 - مداخلة وتحقيق د / إميل أ . كبا - ط 1 - 1415 هـ - 1995م - دار الجيل - بيروت .

الفصل الأول

الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم

دراسة موضوعية



الفضائل

الفضل في اللغة : " ابتداءً إحسانٍ بلا علقٍ " (1) . وهو " ضدُّ النقص، والفضيلةُ : الدرجة الرَّفِيعَةُ في الفضلِ . والاسمُ الفاضلةُ . وفضله تفضيلاً : مزأه " (2) وقد قال تعالى : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (3) أي أن الله فضلهم بالتميز .
الفضيلة " سعي ناشئ عن إرادة حرة، ونية خالصة لله عز وجل ، وجهته وقصده مصالح الآخرين دون انتظار لجزاء من أحد سوى الله عز وجل " (4) .
معنى أن الفضيلة هي الأخلاق والعادات الحميدة والأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان تجاه الآخرين دون أن يقصد من وراء ذلك غاية دنيوية .

الفضيلة هي محور حديثنا في هذا المبحث حيث سأتناول جل الفضائل التي وردت في شعر حافظ إبراهيم بالدراسة والتحليل ، فبعد أن أذكر تعريفاً - راجحاً في ظني - لهذه الفضيلة أو تلك يساعد على إدراكها وتصورها ، سوف أذكر أمثلة عليها من شعر حافظ إبراهيم مع التعليق على هذه الأبيات المختارة ، وسأختم حديثي عن كل فضيلة بذكر رأي الخاص في رؤية حافظ لهذه الفضيلة ، وطريقة تناوله لها وسأذكر تناقضاته وسقطاته التي ظهرت لي في بعض منها ، كما أنني سأرتب هذه الفضائل حسب الأكثر وروداً في الديوان . وسيكون التكافل أول هذه الفضائل التي سأتناولها في هذا المبحث .

(1) التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبدالرؤف المناوي (الفضل) تحقيق د/ محمد رضوان الداية - ط1 - 1410 هـ - 1990م - دار الفكر المعاصر - بيروت - دار الفكر - دمشق .
(2) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - طاهر أحمد الزاوي (فضل) - ط3 - دار الفكر
(3) الإسراء: 70
(4) الفضائل الخلقية في الإسلام - د/أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم - ص60-61-ط1-1409 هـ 1989م - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة .

التكافل

التكافل في اللغة : مشتق من (كفل) ، ويدل على تضمُّن الشَّيْء للشَّيْء. والكفيل : هو الضامن ، تقول كَفَلَهُ به يكفُلُ كَفَالَةً والكافل : الذي يكفل إنساناً يعوله⁽¹⁾.

" وكلمة التكافل تعني التضامن ، أي أن يضمن كل فرد قادراً فرداً آخر بحيث يعم ذلك الجميع ، فيشكلون بهذا التآزر والتمازج أمة متماسكة يشد بعضها أزر بعض "⁽²⁾.

كثيراً ما دعا حافظ إبراهيم في شعره إلى التكافل ولاسيما في عصر الاحتلال الذي كانت فيه الأمة العربية والإسلامية في أمس الحاجة إليه ، ولذا يتحدث عن الشخصيات السياسية والدينية التي كانت تقوم به وتعمل على نشره بين الناس ، ومن هذه الشخصيات الإمام محمد عبده (1266هـ - 1323هـ) ، الذي تحدث حافظ -كثيراً- عن مساعدته للفقراء والمحتاجين ، وقد أشار إلى أن الفقراء يتجهون لبيته ويشدون الرحال إليه ، كما تشد الرحال لبيت الله الحرام ، ولذا قال⁽³⁾:

حللتُ داراً بها تتلى مناقبه - يبأها ازدحمت للرأسِ آمالُ
لي كل حول بيت الجاه منتجعٌ - كما تشدُّ لبيتِ الله أرحالُ

لقد كان الإمام محمد عبده محط آمال الناس وخاصة الفقراء والمحتاجين .

وفي أثناء حديث حافظ عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سرد لنا أروع قصة للتكافل في الإسلام ، إذ قد روى أن عمر كان يتفقد أحوال رعيته ليلاً فرأى امرأة توقد ناراً على حصي وماء ، كي تشغل أطفالها عن طلب الطعام إلى أن يناموا ، فما كان من عمر إلا أن حمل إليها الدقيق من بيت مال المسلمين وجلس يشعل النار ويصنع لها ولأبنائها الطعام ولم يتركهم حتى أكلوا وناموا⁽⁴⁾:

ومن رآه أمام القدر منبطحاً - والنارُ تأخُذُ منه وهو بُحِيكيها
وقد تحلَّلَ في اثناءٍ لحيته - منها الدُّخانُ وفوه غابَ في فيها
رأى هناك أميرَ المؤمنين على - حالٍ تروغٌ - لعمرُ الله - راحيها

وقد غدت هذه القصة نموذجاً يحتذى به في التكافل على مر التاريخ .

(1) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس (كفل) اعتنى به . د/ محمد عوض و فاطمة محمد أصلان

- ط 1 - 1422 هـ - 2001م دار احياء التراث - بيروت .

(2) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها - د / محمود محمد بابلي - ص 071

(3) ديوان حافظ ابراهيم : 4/1

(4) المرجع السابق: 53/1

ونراه مرةً يشير إلى أحد الشعراء وإلى مساعدته للفقراء والمحتاجين (1):

أقام لدينا أهلك ركناً
له نسبٌ إلى ركن الحطيم
فما طاف العفاةُ به وعادوا
بغير المسحِ دنيئٍ واللطيم

فالشاعر وأهله أصحاب نجدة ومساعدة فما جاءهم مستغيث إلا وعاد محملاً بالعطايا والهبات .
والوزير أحمد حشمت (1858-1926م) من الشخصيات التي تحدث حافظ عن مساعدتهم
للمحتاجين وحبهم للتكافل (2):

وألثم كفَّ كريم الجـدود
غياث العفاة مزيل اللؤب

فالوزير من أسرة كريمة تمد يد العون للمحتاجين وتساعد في حل مشكلات المكرويين .
وقد أشاد بجميع من حمل حساً إنسانياً عالياً ، وتبرع من أجل إعادة إعمار " مسينا " وهي مدينة
إيطالية منكوبة، وقع فيها زلزال وخلف الكثير من الأضرار (3):

وسلام على امرئ جاد بالدم—
ع وثني بالأصفـر الرنان !

ذاك حقُّ الإنسان عند بني الإنـ
سان لم أدعكم إلى إحسان

ويحث حافظ الناس على البذل والمساعدة بالمال عن رغبة وليس عن خوف (4):

إن كنتم تبدلون المال عن رهبٍ
فنحن ندعوكم للبذل عن رغبٍ

وهو يطلب من الناس المساعدة بالمال من أجل بناء جامعة على الطراز الأوربي ، لأن الجامعة سبب في
تقدم الأمة وازدياد نصيبها من التعليم ، كما يدعو إلى التسابق في عمل الخير لوجه الله وعدم انتظار أجر
مادي (5):

جاءت تسابق في المبرة بعضه—
بعضاً لوجه الله لا للمال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا
للباقيات وصالح الأعمال

فتسابقوا الخيرات فهي أملكـم
ميدانُ سبقٍ للحجـواد الرائل (6)

وهو يشير إلى أن الكثير من الناس نذروا حياتهم لعمل الخير واختاروا مهناً إنسانية فيها الكثير من
الإحسان والتكافل .

(١)الديوان:1/116

(٢)المرجع السابق: 1/128

(٣)المرجع السابق: 1/169

(٤)المرجع السابق : 1/205

(٥)المرجع السابق: 1/217 – 219

(٦)الرائل : الكثير النائل وهو العطاء: هامش الديوان1/219

ثم نجد أن حافظ شديد الحب والتعلق بالصفات المحمودة ويظهر ذلك من خلال قوله (1):

كلفٌ بمحمود الخلال ميمٍ بالبذل بين يديك والإنفاق

وهذه الصفات المحب لها والتميم بها هي البذل والإنفاق .

وفي قصيدة (ملجأ رعاية الأيتام) ذكر حافظ أحد المواقف المؤثرة والمشرفة التي حدثت في القطار ، وكانت دليلاً على ثمرة التكافل ومساعدة الآخرين ؛ فقد سقط أحد ركاب القطار في النهر ، وكاد يغرق لولا أن رجلاً قفز من القطار لينقذه من الغرق ، وعندما عاد وهو يحمل هنتفت إحدى الفتيات قائلة : تلك عقبى رعاية الأيتام ، وهي تقصد أن الغريق كان ممن يعملون بمبدأ التكافل ، ويكثرون من مساعدة الأيتام والمحتاجين فجراه الله بأن هياً له من ينقذه من الموت ، يقول حافظ (2):

غابَ فيها وعادَ يحملُ جسمًا سألَ من يد الهلاكِ اللزَّامِ (3)

وقفت موقفاً الخطيبِ ونادت تلك عقبى رعاية الأيتامِ

وأقاموا للبرِّ داراً فكانت خيراً وردِ يؤمُّه كلُّ ظامي

قد نجا المنعم الجواد من المو ت بفضل الزكاة والإنعام

ففي هذا الموقف تأكيد على أن من يقبل عشرات الآخرين يقبله الله من عشرات الدنيا والآخرة . ويشارك في الدعوة إلى الحفل الذي أقامه أحد الوجهاء ، من أجل أن يذهب ريعه لمساعدة أسر الممثلين الذين توفوا أو أقعدتهم الشيخوخة عن العمل (4):

بأنَّ هذا عملٌ صالحٌ قامَ به هذا الفتيّ القدسي

فاكتسبوا الأجر ولا تبتغوا شراءه بالفضنِّ البخسِ

وهذا يعد من التكافل الاجتماعي الذي أمر به الإسلام وحافظ يحث الناس على دفع المال للدخول إلى الحفل وكسب الأجر عند الله .

كما أنه يدعو الناس إلى كسب رضا الله وثوابه من خلال مساعدة الآخرين (5):

أقرضوا الله يضاعف أجركم إن خيراً الأجرِ أجرٌ مدخرٌ

(١) الديوان: 219/1

(٢) المرجع السابق: 225/1 - 226 - 227

(٣) الزام : اللازم :هامش الديوان 225/1

(٤) الديوان: 234/1

(٥) المرجع السابق: 238/1

فهو يذكرهم أن خير الأجر ما أدخر في الآخرة لأن الإنسان يكون في أمس الحاجة إلى الحسنات في ذلك اليوم .

ويشير إلى رجال الجمعية الخيرية الإسلامية، وأنهم قد ادخروا جزاء صنيعهم عند الله سبحانه وتعالى، ولا ييغون به جزاء في الدنيا، فكم من أسرة ضاق بها الحال وأعيها السؤال فكانوا هم من يمد لها يد العون ويذلون لها المعروف ويقدمون لها المساعدة في الخفاء⁽¹⁾:

صنعوه زلفى واحتساباً	مهّدوا لأنفسهم بما
ء بها وأعيها الطلاب	كم أسرة ضاق الرّ
والليل مسدول الرّباب	دقّ وا عليها باهما
يتعاهدُ النبت السّحاب	وتعاهدوها مثلما
وتنظّ روا حسن المآب	فتحوا المدارس
له الفضائل لا الثّ	وغدوتُ إنساناً ت
غوثاً يلبّ	قد كان فيها
إنعاشها إلا أجاب	لم يدعُ مسماًحاً إلى

كما أن رجال الجمعية فتحوا المدارس التي اهتمت بتعليم القرآن الكريم حتى تستنير العقول وتتجمل النفوس بالأخلاق الحسنة.

وقد كثرت وجوه التكافل في المجتمع حتى غدت عاطفة البر تتجول بين الناس كما يرى حافظ، وإن كان في هذا شيء من المبالغة⁽²⁾:

فكأنّ أشيم عاطفة البرّ عيّا

نأ تجولُ بين الجلوس

وهذه ظاهرة صحية في المجتمع لأن الدين الإسلامي يحث على ذلك.

ويرى أن كل من يساعد يتيماً ويحميه من التشرد، يكفيه أن الله سيأجره على ذلك، ويدخر له الأجر في الآخرة عندما يكون في أمس الحاجة له⁽³⁾:

حسبه من ربه أن يؤجرا

من لأجراهُ بديناهُ اشترى

كلُّ من أحيا يتيماً ضائعاً

إنّما تحمدُ ع قبي أمره

(١) الديوان: 240/1-241.

(٢) المرجع السابق: 242/1.

(٣) المرجع السابق: 245/1.

وقد هيأ الله للفقراء والمساكين نساء يقفن إلى جانبهم ويساعدنهم من خلال الجمعية التي أسسها ويقول فيهن (1):

قِيضَ اللهُ لِلضَّعِيفِ نَفُوساً
أَيَّدُوا كُلَّ مَجْمَعٍ قَامَ
عَشَقُوا الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْحِجَالِ
لِلْبِرِّ بِجَاهِ يَظْلُهُ أَوْ بِمَالِ
فَاصْنَعُوا الْبِرَّ مَنَعِينَ وَجَدُوا
أَيُّهَا الْقَادِرُونَ قَبْلَ السُّؤَالِ

فحافظ يدعو الناس وخاصة الأثرياء والقادرين مادياً إلى دعم الجمعيات الخيرية التي تقدم المساعدة للفقراء والمحتاجين.

ثم نجده يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) بأنه رجل صالح يكفل الأيتام ويقوم على رعاية الأرمال ويقدم المساعدة لكل ذي حاجة (2):

ملاذ عيائي ل، ثمال أرامل
ويا ويح للفتيا إذا قيل من لها؟
غياث ذوى عدم إمام ه
ويا ويح للخيرات والصدقات
على أنفس الله منقطعات
ياحسانه والدهر غير مواتي
ومطلع أنوار، وكنز عظام
معاينة أرمال وحاطها
مثابة أرزاق، ومهبط حكمة

فبكاء القوم عليه يوم موته إنما كان أكثره بكاءً على أسرٍ كان يعولها ويحوطها بالرعاية والعناية، وموته يعني انقطاع تلك المساعدات عنها، وعدم إيجادها لمعين في الأوقات الحرجة. ويصف - أيضاً - الدكتور شبلي شميل (3) بأنه كثير الإنفاق في السر والعلن (4):

مفضلاً محسناً على العسر والبس
ومثل ذلك يصف محمد سليمان أباطة (5) وأنه كثير الإنفاق والمساعدة لمن يحتاج إسداء المعروف (6):
قد كان متلاًفاً لأمواله
وكان فهاضاً بمن يعثر

(1) الديوان: 247-245/1.

(2) المرجع السابق: 134-133/2.

(3) شبلي شميل : (1850-1917م) طبيب لبناني نزل بمصر، مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية

العميقة. هامش الديوان: 162/2.

(4) الديوان: 163/2.

(5) محمد سليمان أباطة : 1872-1923م هو ابن سليمان أباطة باشا تولى عدة أعمال كان آخرها

وكالته لمصلحة الأملاك. هامش الديوان: 195/2.

(6) الديوان: 195/2.

أصيبَ فيه المجدُّ يومَ انطوى

والعرفُ والسائلُ والمعسرُ

وقد أشار إلى أن عبدخالق ثروت⁽¹⁾ كان يفعل الخير ولا يريد عليه شكراً ولا جزاءً في الدنيا وإنما هو يدخره في الآخرة⁽²⁾:

يهدى السبيلَ لس الكيه، ولم يرد
يرتاحُ للمعروفِ لا مترجاً
شكراً ولم يعمل لنيلِ ثواب
فيه ولا هو في الجميلِ مراي

كما وصف الشيخ محمود سليمان⁽³⁾ بأنه كثير العطاء وأنه عندما يعطي لا يمن ولا يؤذي بذكر أعطياته وهباته فقد عاش مئة سنة كل سنة فيها تذكر ما قدمه خلالها من أعمال الخير والتكافل. فكم صفح عن مسيء وكم أعطى للفقراء والمحتاجين وكم ساعد أصحاب الحن والمصائب من الناس وكم سعى للإصلاح بين المتخاصمين⁽⁴⁾:

مُسدَى الجميل بلا من يكدره
قضيتها مائةً في كل واحدةٍ
ومكرمُ الضيفِ أمسى ضيفاً (رضوان)
تُعدُّ زادك من برِّ وإحسانٍ
فكم صفحت عن الجاني ولم تره
وكم مشيت بصلحٍ بين إخوانٍ
فضلٍ ونبلٍ وإحسانٍ وعرْفانٍ
أنجبت أربعةً سادوا بأربعةٍ :

فقد أنجب الشيخ أربعة أبناء جميعهم ساروا على نهجه وعرَفوا بأنهم أص حاب فضل وإحسان وأخلاق نبيلة.

هكذا تحدث حافظ عن فضيلة التكافل من خلال مدحه لبعض الشخصيات المعروفة في عصره، ومن خلال حديثه عن الجمعيات الخيرية، التي كانت تأخذ على عاتقها إعانة الفقراء وتلبية حاجاتهم، ولكن كان بإمكان حافظ التحدث عن هذه الفضيلة بشكل أعمق، وخاصة في القصائد التي

(١) عبدخالق ثروت: 1873-1928م من كبار رجال مصر في عصره تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية كان أول مصري يتولى النيابة

العمومية؛ من سؤاس مصر المعترف بحذقهم. هامش الديوان: 209/2.

(٢) الديوان : 211/2.

(٣) محمود سليمان: كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد؛ ومن كبار رجال النهضة الوطنية، وكان رئيساً للجنة الوفدية المركزية .

هامش الديوان: 215/2

(٤) الديوان : 216-215/2.

أفردتها للحديث عن الجمعيات الخيرية ، ففي قصيدة (ملجأ رعاية الأيتام) مثلاً أسهب في وصف القطار ،
بينما جاء حديثه عن التكافل في أبيات معدودة من القصيدة ، وموضوع التكافل من المواضيع الإنسانية
التي يجب أن تعالج بحس إنساني عالي ، بحيث يكون هو الموضوع الرئيسي الذي تدور في فلكه القصيدة ،
دون أن تتطرق إلى أشياء أخرى بعيدة عنه .
وقد ذكر حافظ أبيات أخرى في التكافل غير الأمثلة السابقة ولكنها لا تحمل أي إضافة أو أي جديد لما
سبق ذكره (1) .

(١) للاستزادة الديوان: (10/1-12-23-45-203)، (2/66-159-171-184-221-224) قصائد لم تنشر : (261-
268) - ديوان حافظ إبراهيم - تقدم فاروق شوشه - طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين
لرحيل حافظ وشوقي (1932-2007م) المجلس الأعلى للثقافة- 2007م- القاهرة.

الشجاعة

الشجاعة في اللغة: من شجع وهو لفظ يدل على الج رأة والإقدام، من ذلك الرَّجُلُ الشجاع، وهو المتوَدِّم، وجمعه شَجَعٌ وشُجَعَاءٌ⁽¹⁾.

والشجاعة ليست فقط قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعتة للقتال وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود مرها ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم⁽²⁾.

يرى (مسكويه) (325-421هـ) أن من يباشر الحروب ويقدم على خوض الأهوال كي يصل إلى المال أو لخوفه من عقوبة السلطان، أو الخوف على سقوط جاهه ليس بشجاع، لأن الشجاعة الحقيقية تهدف إلى غاية نبيلة شريفة لطلب الفضيلة واختيار الموت الجميل على الحياة الرديئة⁽³⁾.

الشجاعة من أهم الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم في شعره وخاصة في العصر الذي عاش فيه، حيث كانت الأمة العربية تواجه ويلات الحرب والاستعمار فبرز منها الكثير من الشخصيات التي عرفت بالشجاعة، ومن أهم هذه الشخصيات الإمام محمد عبده (1266-1323هـ)⁽⁴⁾:

فأنت لها إن قام في الشَّرِّقِ مرجفٌ وأنت لها إن قامَ في الغربِ مرجفٌ

فالإمام رجل معروف بالشجاعة والقدرة على مواجهة الخصوم بالحجة القوية.

كما أشار حافظ إلى بعض الشخصيات الإسلامية التي لنا فيها أسوة حسنة في الشجاعة كخالد ابن الوليد رضي الله عنه⁽⁵⁾:

م— واقع الروم إلا فرَّ قارحها ولارمى الفرسَ إلا طاشَ راميتها

ومن هذه الشخصيات الإسلامية — أيضاً— الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه⁽⁶⁾:

فأعجبُ لقوَّةِ نفسٍ ليس يصرفها طعمُ المنيِّ مرّاً عن مراميتها

فالخليفة رجل عرف بالشجاعة والإقدام وعدم الخوف من الموت فلا شيء يثنيه عن أهدافه مهما كان.

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (شجع).

(2) التدين والصحة النفسية د/صالح إبراهيم عبد اللطيف الصنيع- ص 255- ط1 - 1421هـ - 200م - أشرف على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.

(3) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لأبي أحمد بن محمد الرازي (مسكويه) - ص 103-104 قدم له

الشيخ حسن تميم - ط2- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت (بتصرف).

(4) الديوان: 11/1.

(5) المرجع السابق: 46/1.

(6) المرجع السابق: 52/1.

كما أن سعد زغلول⁽¹⁾ كان من أشد أبناء جيله شجاعة وقوة وأقدرهم على مواجهة الشدائد، فالشعب قد لمس فيه ذلك فطلب منه أن يتقدم ويتحدث مع المستعمرين باسمه، ويطالب بحريته وتحقيق مطالبه وقد قال عنه حافظ⁽²⁾:

إنا رميناهم بنديبٍ حولِ	عن قصدٍ وادي النيل ليس يحولُ
بأشدنا بأساً وأقدمنا على	خوض الشدائد والخطوبِ مثلُ
بفتى جميع القلب غيرٍ مشتتٍ	أن مالت الأهرامُ ليس يميلُ
فاوض فخلفك أمةً قد أقسمت	ألا تنام وفي البلاد دخيلُ
عزلٌ ولكن في الجهاد ضراغمُ	لا الجيشُ يفزعها ولا الأسطولُ

فالشعب المصري على رغم من أنه شعب أعزل لا يملك السلاح إلا أنه شعب شجاع لا يخاف الجيوش الجرارة ولا الأساطيل.

ولم يكن الرجل المصري وحده من تحلى بهذه الشجاعة بل أن المرأة المصرية - أيضاً - أظهرت شجاعة نادرة في عام 1919م عندما احتدمت نار الثورة الوطنية فقد أخذت المرأة فيها بنصيب وافر من الجهاد، وأظهرت شجاعتهما وصمودهما في المظاهرة التي قامت بها السيدات ضد المحتلين، ووقفن فيها صفاً واحداً ولم يتفرقن، ولم يخفهن الجنود المدحجون بالأسلحة، المنتشرون في الطرقات وقد أشاد بهن حافظ قائلاً⁽³⁾:

وفي السنّة السّوداءِ كنتن قدوةً	لنا حين سالَ الموتُ بالمهجاتِ
وقفتن في وجه الحميسِ مدججاً	وكنتن بالإيمانِ معتصماتِ
وما هالكثن الرّمحُ والسيفُ مصلتاً	ولا المدفعُ الرّشاشُ في الطرقاتِ
عرفناها في مجدٍ (سعدٍ) نصيبها	من الحزمِ والإقدامِ في الأزماتِ
تھونٌ للشّيخِ الجليلِ هجومه	على الهولِ بالتشجيعِ والبسماتِ

(١) سعد زغلول : 1860-1927م. تولى التحرير في الوقائع ثم ألحق ببعض الأعمال الإدارية في

الحكومة ففصل لاثامه بالاشتراك في الثورة العراقية، فاشتغل بالحمامة وكان أول محامي يتولى

منصب القضاة، ثم تولى وزارة المعارف، ثم تولى وزارة الحفانية، وتولى زعامة النهضة الوطنية

إلى أن توفي. هامش الديوان: 67/1.

(٢) الديوان: 68/1-69.

(٣) المرجع السابق: 88/1-89.

فالمرأة المصرية بشجاعته وصبرها شجعت الرجل على المقاومة وبثت الشجاعة في قلب الشيخ الكبير فأصبح متحمساً للقتال.

كما يصف الشاميين المهاجرين بالشجاعة فهم لا يهابون الموت ولا فرق عندهم إن ماتوا في أعالي الجبال أو في البحار⁽¹⁾:

ولا يباليون إن كانت قبورهم ذرا الشروامخ أو أجواف حيتان
كما لم تكن الشجاعة مقصورة على ميدان القتال أو مقاومة ظروف الحياة، بل - أيضاً - الجرأة في الكتابة وطرح المواضيع الحساسة تعد شجاعة، ومحمد المويلحي⁽²⁾ من الكتاب الذين عرفوا بالشجاعة والجرأة في الطرح حيث يقول حافظ واصفاً قلمه⁽³⁾:

يختال ما بين السطور كضيغم يختال بين عواملٍ وشفلو

فقلم محمد المويلحي كان يعمل عمل السيوف والرماح بالأعداء.

كما وصف السلطان محمد الفاتح⁽⁴⁾ بالشجاعة والحنكة لفتح القسطنطينية وبمثله يذكر شجاعة السلطان عبد الحميد⁽⁵⁾ عندما التجأ إليه أحد زعماء ثورة كان يقصد بها تحرير المجر، فطلبت النمسا وروسيا من الدولة العثمانية تسليمه فرفض ذلك السلطان عبد الحميد باعتبار أن هذا التسليم لا تقره شريعة⁽⁶⁾:

هنا - فاحفظوا الأبصار - عرش محمد
يناديهم : أما نزلي فدونه
هنا الفاتحُ الغازي الكمي الم درب
حياتي، وأما صارمي فمشطُ

ويصف عضوين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التركية وأحد القادة الأتراك بالشجاعة، فالهلاك إذا لقيهم يهرب خوفاً منهم ، أما إذا هم لقوه فإنهم يواجهونه بكل شجاعة فهم يصارعون الموت فتلقى مخالبيهم مخالبه فتكل مخالبه وترتد خوفاً منهم⁽⁷⁾:

ثلاثة أسادٍ يجانبها الردى وإن هي لاقاها الردى لا تجانبه

(١) الديوان: 94/1.

(٢) محمد المويلحي: 1858-1930م تولى عدة مناصب حكومية واشترك في تحرير عدة صحف وكان صاحب صحيفة مصباح الشرق ومؤلف كتاب عيسى بن هشام. هامش الديوان: 102/1.

(٣) الديوان: 102/1.

(٤) السلطان محمد الفاتح: 833-886هـ. كان السلطان السابع من سلاطين آل عثمان. هامش الديوان: 12/2.

(٥) السلطان عبد الحميد: 1237-1277هـ. هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان. هامش الديوان: 12/2.

(٦) الديوان: 13-12/2.

(٧) المرجع السابق: 43/2.

كم وقفه لك والأبطال طائفة
والحربُ تضربُ صنديداً بصنديدِ
نسخت (يوم كريد) كل ما نقلوا
في يوم (ذي قار) عن (هاني بن مسعود) (1)
كأنهم كلم، والموت قافية
يرمى به عربي غير رعيدي

فما أظهره البارودي في يوم كريد من شجاعة وإقدام، يفوق ما أظهره (هاني بن مسعود) في يوم ذي قار المشهور من شجاعة وبسالة.

وقد أشاد حافظ بشجاعة مصطفى كامل⁽²⁾ في كثير من قصائده⁽³⁾:

وهاً على تلك المواقف إنها
كانت مواقف ليث غاب ضاري
كما يقول⁽⁴⁾:

هنا الكمي؛ الذي شادت عزائمهُ
قد كان لا وانياً يوماً ولا وكلاً⁽⁵⁾
لطالب الحق ر كناً ليس ينهدم
يستقبل الخطب بساماً ويقتحم

فمصطفى كامل رجل شجاع يستقبل الخطوب والرزايا بابتسامة المقدم الباسل.

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الشجاعة من خلال قصائد مدحه وراثته وحديثه عن السياسة ، فقد مدح الكثير من الشخصيات المعاصرة بهذه الفضيلة، كما أنه ذكر شخصيات إسلامية كان لنا فيها أسوة حسنة في الشجاعة. ولم يقتصر مفهوم الشجاعة في شعره على الشجاعة في ميدان القتال، بل اتسع لديه مفهومها إلى مواجهة ظروف الحياة القاسية، والجرأة في الكتابة، وطرح القضايا الحساسة، والصبر على الرزايا والحن؛ وهو بذلك يكون قد نظر لفضيلة الشجاعة من أكثر من زاوية، وخرج برؤى مختلفة ومتعددة.

(1) يوم كريد : في سنة 1866م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية فأرسلت مصر جيشاً لمساعدتها على تأديهم وكان البارودي "رئيس ياور حرب" . وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والجزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصري في إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أحمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل هامش الديوان 126/2 .

(2) مصطفى كامل : 1874-1908م. كان من رجال السياسة وكانت باكورة أعماله كتابه الذي رفعه إلى رئيس مجلس النواب الفرنسي وكان زعيم النهضة الوطنية في مصر. هامش الديوان: 134/2.

(3) الديوان: 141/2.

(4) المرجع السابق: 145/2-148.

(5) الوكل: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره: هامش الديوان 148/2

اهتمام حافظ بالشجاعة وإشادته بها كثيراً في شعره يعود - في رأيي - إلى افتقاده لهذه الصفة فقد وصفه الأستاذ أحمد محفوظ وصفاً دقيقاً حين قال: "كان رعيدياً يرعبه الخوف من التوافه، كأنه طفل صغير ملأت رأسه صور الغيلان والعفراريت من قصص العجائز في ليالي الشتاء المقرورة"⁽¹⁾.

كما أن الدكتور طه حسين ذكر قصة حدثت له مع حافظ، تدل على مدى خوفه وإشفاقه حيث قال: "لقيته مرة عند محمد محمود، فأنشدني شعراً له يمدحه به، ويثنى فيه على مجهوده وبلائه في مفاوضة الإنجليز، وكنت أعرف منه هذا الضعف وأحب أن أداعبه، فقلت له - ومحمد محمود يسمع ومن حوله من الأحرار الدستوريين-: "ما أجمل هذا الشعر وأقواه!".

قال: "أتسمعون؟ سجلوا عليه، فإنه خليق بعد ذلك أن ينقديني؟"

قلت: "أشهدوا على أي مستعد للثناء على حافظ في غير تحفظ إذا نشر هذا الشعر".

قال مقهقهةً: "انتقديني ما شئت في غير تحفظ، فلن أنشر هذا الشعر، لأني لا أريد أن أحال إلى المعاش الآن".

قلت: "فإني سأنشر فصلاً عنك كله ثناء، وسأستشهد ببعض هذا الشعر، وكنت قد حفظت منه شيئاً".

قال: "ولا هذا أيضاً، وقضى المجلس وقتاً طويلاً في الضحك من إشفاق حافظ"⁽²⁾.

وبهذا نجد أن حافظ كان يدعو إلى خلق ويأتي بنقيضه.

وقد ذكر حافظ أحياناً أخرى في الشجاعة ولكنها - كما رأيت - لم تحمل جديداً يذكر على ما سبق ذكره⁽³⁾.

(١) حافظ إبراهيم شاعر النيل. د/ عبد الحميد سند الجندي- ص 58.

(٢) حافظ وشوقي د / طه حسين- ص 194-195.

(٣) للاستزادة انظر الديوان: (1/29-33-76-245)، (2/62-111-119-201-202-203-219-220-226) قصائد لم تنشر (254).

الوفاء

الوفاء في اللغة: إتمام العهْد وإكمال الشرط، ووفى: أوفى، فهو وفياً؛ ويقولون: أوفيتك الشَّيءَ إذا قضيتَه إياه وافيةً⁽¹⁾.

وهو "تنفيذ مشروط بين طرفين ملزم لمن أخذ العهد على نفسه، ويسمى في الشرع أيضاً ميثاق"⁽²⁾. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ. فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾⁽³⁾.

ويرى الدكتور أحمد عبدالرحمن أنه يجب على الوفي أن يحاول إحباط البواعث التي تدفعه إلى تغيير شيء في العهد، لأن ذلك يعد نكثاً للميثاق، فمع مرور الزمن قد تطرأ على الإنسان مؤثرات جديدة تعمل عملها على إرادته، ولكن الإنسان الوفي يبطل مفعولها ويثبت على موقفه وينفذ ما ألزم به نفسه⁽⁴⁾. وقد تحدث حافظ إبراهيم عن الوفاء في كثير من قصائده وأثبت هذه الصفة لبعض ممدوحيه، كما أثبتتها لنفسه⁽⁵⁾:

إنَّ نفسَ الإمامِ فوقَ مناهم ما تمرُّوا وإنِّي غيرُ صابي
بيغم ما يريده الأعداء إلا أن حافظاً باق على مودته ووفائه للإمام محمد عبده (1226-1323هـ).
و لم يتوقف وفاء حافظ عند الإمام محمد عبده (1226-1323هـ)، بل إنه تعداه إلى محاولة الوفاء للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولو من خلال الشعر⁽⁶⁾:

لاهَمَّ! هب لي بياناً أستعينُ به على قضاءِ حقوقِ نامٍ قاضيها
قد نازعتني نفسي أن أوفيهـا وليس في طوقِ مثلي أن يوفيهـا
ولكن الشعر لا يستطيع أن يوفي الخليفة حقه لأن حق الخليفة أكبر بكثير من أن يوفيه الشعر.
ويشير إلى وفاء أبناء مصر لها، فهم لم يينخلوا عليها بأرواحهم بل أنهم قدموا شبابهم فداء لها⁽⁷⁾:

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (وفى).
(2) الأخلاق في الشريعة الإسلامية د/ أحمد عليان- ص 231- ط1- 1420هـ- 2000م- دار النشر الدولي - الرياض.
(3) آل عمران 187
(4) الفضائل الخلقية في الإسلام د/ أحمد عبدالرحمن إبراهيم- ص 213- ط1- 1409هـ- 1989م- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة.
(5) الديوان 14/1.
(6) المرجع السابق: 39/1.
(7) المرجع السابق: 71/1.

والوردُ لم ينظرُ إليه ذبولُ

جدتم لها بالرقس في ورد الصرباً

فهؤلاء الشباب فضلوا أن يموتوا وتعيش مصر.

وحافظ رجل وفيّ يذكر ما يقدمه له أصدقائه من معروف وما يسدونه إليه من جميل⁽¹⁾:

يومَ الوفاءِ فقصرت أشعاري

لك في دمي حقُّ أردت وفاءهُ

حفظُ الودادِ سجيّتي وشعاري

لم يخسني مرُّ الزمانِ ولم يزلْ

فهذا الاعتراف من حافظ بجميل محمد المويلحي (1858-1930م) يدل على أنه صديق وفي حافظ للوداد.

وقد كتب في يعقوب صروف⁽²⁾ قصيدة من باب الوفاء ورد الجميل له.
منها⁽³⁾:

وأقولُ فيك الحقَّ غيرَ محايي

وأتيتُ أقضي بعضَ ما أوليتني

فقد كتب له هذه القصيدة من أجل أن يوفيه بعض معروفه الذي أسداه إليه ويقول فيه قول صدق من غير مجاملة.

ويذكر حافظ وفاءه لوطنه مصر، وأنه لم يتحول عن حبها برغم أنها لم تنصفه، إلا أنه سيبقى

ابنها البار الوفي، الذي لا يتحول عن حبها مهما حصل أو صدر منها⁽⁴⁾:

أنا عن مودتها أريم⁽⁵⁾

لا مصرُ تنصفي، ولا

تَ ومن مودته تدومُ

أنا من عرفت ومن خبرُ

فهو رجل وفي محب لوطنه ولأصدقائه وأن مودته لهم دائمة لا تتغير.

ويعترف بالنعم الكثيرة التي كان يقدّمها عليه الوزير أحمد حشمت (1858-1926م)، ويرى

أن الوفود التي جاءت للسلام على الوزير إنما جاءت إخلاصاً منها ووفاءً له وليس رياءً وخوفاً منه⁽⁶⁾:

بهذا الهناء وهذا اللقبُ

وما كنتُ أحلمُ - لولا الوزير -

وفضلُ قدمِ شريفِ السببِ

علي أيادٍ له جمّةٌ

(١) الديوان: 102/1.

(٢) يعقوب صروف: (1852-1927م) كاتب لبناني كان منقطعاً لتحرير مجلة المقتطف. هامش الديوان: 105/1.

(٣) الديوان: 108/1.

(٤) المرجع السابق: 124/1.

(٥) أريم: أتحوّل: هامش الديوان 124/1

(٦) الديوان: 129-128/1.

أتوا خالصين لوجه الأمير
فلا عن رياءٍ ولا عن رهبٍ
بيطن الفلاة لقطرِ السَّحْبِ

أتوا خالصين لوجه الأمير
فشكرى لصنعك شكرُ التّبات

واعتراف حافظ بفضل هذا الرجل وشكره له يدل على وفائه وحفظه للمعروف.

أمّا ما قامت به نساء قرطاجة في الحرب اليونانية الثالثة التي وقعت سنة 149 ق م بين الرومان والقرطاجيين، إذ قدمن شعورهن لتتخذ حبلاً للسفن، فهذا من عظيم وفائهن، كما يرى حافظ⁽¹⁾:

رأت حُلاها على الأوطان فابتهجت
ولم تحسّر على الحلّى الذي ذهـبا

وعندما سقط رجل من القطار في النيل، وتبرع رجل بإنقاذه من الغرق هتفت إحدى الفتيات في القطار تذكر محاسن الغريق، وقالت: إنه نجح بفضل وفائه، ورأى حافظ أن الوفاء قد تجلّى في ثغرها، عندما أخبرت عن أعمال الخير التي كان يقوم بها الغريق تجاهها وتجاه غيرها⁽²⁾:

وشهدنا ثغراً الوفاء تجلّى
إذ تجلّى في ثغرها البسام

كما أشار حافظ إلى وفاء المصريين لوطنهم؛ فهم يفضلون الموت بمصر في الظروف القاسية التي تعيشها البلد على أن يتركوها للذهاب إلى بلد آخر قد يجدون فيه سبل الراحة⁽³⁾:

تؤثر الموت في ربا الرئيل جوعاً
وترى العار أن تعاف القُماما

سليمان أباطة⁽⁴⁾ ممن وصفهم حافظ بالشهامة والوفاء، ويرى أن بعد موته لم يعد هناك وفاء يعجب به الناس⁽⁵⁾:

كان ملء العيون في كل نادي

رحم الله منه شهماً وفي—اً

وقوله⁽⁶⁾:

ما بات بعدك معجبٌ بوفاءٍ

ولا والأسى وتلهب الأحشاءِ

حسنُ الوفاءِ وبهجة العلياءِ

أودى (سليمان)! فأودى بعده

فيموت سليمان أباطة مات الوفاء.

(١) الديوان: 213/1.

(٢) المرجع السابق: 227/1.

(٣) المرجع السابق: 252/1.

(٤) سليمان أباطة: 1834-1897م هو ابن حسن أباطة تولى عدة مناصب في الحكومة المصرية وآخر منصب تولاه نظارة المعارف .

هامش الديوان: 19/1.

(٥) الديوان: 121/2.

(٦) المرجع السابق: 122/2.

وقد وصف علي أبو الفتوح⁽¹⁾ بالوفاء لأصدقائه لأنه كاتم لأسرارهم⁽²⁾ :

يا حافظاً غيب الصّدي ———— قِ ويا كريمَ المقولِ⁽³⁾

ولم يكن علي أبو الفتوح وفيّاً لأصدقائه فقط، بل كان أيضاً حلو الحديث عنهم ومعهم.

ويذكر حافظ أنه في يوم وفاة جرجي زيدان⁽⁴⁾ قد دعاه وفاؤه لقول الشعر من أجل رثائه إلا أن الشعر عصاه ولم يوافق⁽⁵⁾ :

دعائي وفائي يومَ ذاكَ فلم أكنُ
ضنيناً ولكنّ القريضَ عصاني

وعدم موتات الشعر له سبب خارج عن إرادته، وإلا لم يكن شيء ليمنعه عن الوفاء لصديقه، ولو برثائه ببعض من الأبيات.

ويرى أن قلم يعقوب صروف (1852-1927م) وفي لصاحبه؛ فهو على مدى خمسين عاماً لم يخنه ولم يخدعه⁽⁶⁾ :

صاحبه خمسينَ عاماً فلــــم
يخـن له عهداً ولم يخدع

وإنما وفاء هذا القلم ينبع من وفاء صاحبه له .

ويذكر أن عبد الخالق ثروت (1873-1923م) كان وفيّاً لأصدقائه⁽⁷⁾ :

يروى الصديقَ من الوفاءِ ولم يكن
بالحاسدِ النعمى ولا المغتابِ

فهو لم يكن حاسداً للنعم التي خصوا بها ولا مغتاباً لهم وهذا ما جعله وفيّاً.

كما يشير إلى أن أصدقاء محمد المويحي (1858-1930م) كانوا أوفياء فقد بد عليهم الحزن واضحاً لفقدهم صديقهم⁽¹⁾ :

(١) علي أبو الفتوح: (1873-1913م). هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا آخر منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف . هامش

الديوان: 157/2 .

(٢) الديوان: 158/2 .

(٣) المقول: اللسان: هامش الديوان 158/2

(٤) جرجي زيدان: (1861-1914م) . أديب ومؤرخ لبناني أنشأ مجلة الهلال وألف العديد من الكتب منها : (تاريخ مصر الحديث)

و(تاريخ الماسونية). هامش الديوان: 164/2 .

(٥) الديوان: 166/2 .

(٦) المرجع السابق: 208/2 .

(٧) المرجع السابق: 211/2 .

شاعَ فيه الوفاءُ والحزنُ حتَّى ضاقَ عن حشده فسيحُ الرِّحابِ
كنت لا ترهقُ الصديقَ بلومٍ لا ولا تسبيحُ غيبِ الصَّحابِ
وإنما كان حزنهم عليه ووفاءؤهم له لأنه لم يكن يلومهم و لا يحملهم ما يؤذيهم كما أنه كان وفياً لهم في غياهم.

هذا ويصف حافظ عبدالحليم العلابلي⁽²⁾ نبيل الطباع والوفاء لأصدقائه فهو لا يغتاهم ولا يؤذي من حوله⁽³⁾:

ولا يـؤذي العشيرَ ولا يمينُ
كـذاك كريمة (اللّهزي) تكونُ
نبيلَ الطبع لا يغتأبُ خلا
وفت لأليفها حياً وميتاً
وكما أنه كان وفياً لأصدقائه فقد وفته له زوجته حياً وميتاً.
ويصف الإيطاليين بالوفاء وحفظ الجميل⁽⁴⁾:

فحفظتم وشكرتم صنعنا
وبنو الرومانِ أولى من شكرٍ

28

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الوفاء في أثناء قصائده وأثبت الوفاء في أكثر من قصيدة لنفسه، فهو وفي لوطنه وأصدقائه، ولكنه لم يغص كثيراً في معاني الوفاء، فقد كان بإمكانه رسم صورة أكثر عمقاً للوفاء ؛ وخاصة أن مورثنا الثقافي العربي مليء بقصص الوفاء الخالدة.
وقد ذكر حافظ أبيات أخرى في الوفاء ولكنها لم تحمل أي جديد يذكر لما عرضنا له⁽⁵⁾.

(١) المرجع السابق: 218/2.

(٢) عبدالحليم العلابلي: هو ابن عبد السلام العلابلي كان عضواً في حزب الأحرار الدستوريين وانتخب سكرتيراً للحزب . هامش الديوان: 221/2.

(٣) الديوان 222/2-223.

(٤) قصائد لم تنشر: 261.

(٥) للاستزادة: الديوان: (1/2-90-146-195)، (2/2-95-163-195).

الصبر

الصبر في اللغة: هو الحبس، يقال صبرتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبَسْتُ بها، والمصبورة المحبوسة على الموت، وصَبِرَ كلُّ شيء: أعلاه⁽¹⁾.

" وهو قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز"⁽²⁾.

وقد ذكر الدكتور أسعد السحمراني أن الله خلق الإنسان وأسكنه الأرض وجعل حياته فيها كلها اختباراً وابتلاءً. فالإنسان يتعرض في جميع مراحل حياته لأطوار مختلفة من الحن والم صاعب والمشكلات التي تعترض طريقه وتعيق وصوله لمأربه، وذلك ليختبر الله قدرته على التحمل ويعرف مدى صبره على مواجهة المتاعب⁽³⁾.

الصبر من الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم كثيراً في شعره وحث عليها لأن الأمة كانت تمر بمرحلة تحتاج إلى الكثير من الصبر وقوة التحمل، فالجرب والاستعمار والعمل في السياسة كلها أمور لا يستطيعها إلا من تحلى بالصبر، لذلك نراه يشد من أزر الإمام محمد عبده (1226-1323هـ) ويحثه على الصبر، فليس أول المصلحين الذين كُذِّبوا وحُوربوا⁽⁴⁾:

لا تجزعنَّ فلست أول ماجدٍ كذبت عليه صحائفُ الفجار

فهذا ديدن دعاة الإصلاح دائماً يجاربون ويقابلون بالتكذيب ويجب عليهم أن يتحلوا بالصبر حتى يصلوا إلى غاياتهم.

ومنهم من كان له مواقف في الصبر الشاعر أحمد شوقي (1868-1932م) الذي نفي فلم يغضب ولم يجزع ولم يذل. فعادة من تقلب له الأيام ظهر المحن يجزع ويشعر بالذل، ولكن شوقي صبر وتجلد وقد قال عنه حافظ⁽⁵⁾:

نفيت فلم تجزع ولم تكُ ضارِعاً ومن ترمه الأُطيمُ يجزعُ ويضرع

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (صبر).

(2) الأخلاق الإسلامية وأسستها عبدالرحمن حسن جنبكة الميداني/2-305 - ط6- 1423هـ/2002م- دار القلم - دمشق.

(3) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة: د أحمد السحمراني- ص 126- ط1- 1408هـ/1988م- دار النفائس للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت.

(4) الديوان 15/1.

(5) المرجع السابق: 83/1.

فشوقي حول النفي لصالحه وعمل على تنمية مداركه الشعرية.
كما أن المرأة المصرية كانت لها مواقف عظيمة في الصبر والثبات جعلت الرجال يتعلمون منها
المقاومة، فقد كانت تدفع الوجل للجهاد في سبيل حرية الوطن وهي تبتسم رغم معرفتها أن الحرب لا
تعني شيئاً سوى الموت⁽¹⁾:

تعلم منكن الرجال فأصبحوا على غمرات الموت أهل ثبات
وتدفعه للموت والثغر باسم وفي صدرها نوء من الزفرات
كذا فليكن صنع الكريم وصبره على دهره والدهر غير مواتي

30

فابتسامتها هذه ابتسامة تشجيع تخفي بها ما في داخلها من حسرة وألم تنوء بحمله.
كما إنه يحث أصدقائه على الصبر وعدم التعجل، والتدرج في سلم المجد⁽²⁾:
واستبقا العلياء واستمسكا بعروة الصبر ولا تعجلا
ويوصي أهالي الشرق بالصبر ويحاول أن يحث في نفوسهم الأمل بمستقبل أفضل⁽³⁾:
فديناك يا شرق لا تجزعن إذا اليوم ولي فراقب غدا
كما يحث الشعب المصري على الصبر وشكر الله وحمده على نعمة الأمن والاستقرار⁽⁴⁾:
فاصمدوا ثم احمدوا الله على نعمة الأمن وطيب المستقر
وينصح حافظ جريحا بيروتياً على لسان أحد العرب بالصبر والتجلد لأن الصبر على الرزايا من عادة
الرجل الشهم الرزين⁽⁵⁾:
لا تيأسى، وتجلد أراك شهما ركي—نا
أبشـر فإنك ناج واصبر مع الصبرينا
وهو إلى جانب حثه له على الصبر يشره بالنجاة.

(١) الديوان: 88/1-89.

(٢) المرجع السابق: 150/1.

(٣) المرجع السابق: 201/1.

(٤) المرجع السابق: 237/1.

(٥) المرجع السابق: 64/2.

ويبحث على فضيلة الصبر ويرى إنه إن فارق القوم فليس هناك ما يقوم مقامه، كما يرى أنه كفيلاً وحده بنصرة القوم لأنه يغني عن المخترعات والمعدات⁽¹⁾:

وتواصوا بالصَّبْر، فالصَّبْرُ إنْ فَا	رَقَ قَوْمًا فَمَالُهُ مِنْ مَسَدِّ
خَلَقُ الصَّبْرِ وَحَدَهُ نَصْرَ الْقَو	مَ وَأَغْنَى عَنْ اخْتِرَاعِ وَعَدِّ
شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعْيِ بِنَفُوسِ	صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رِبْدِ
فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرِّ	بَ ، وَأَنْحَى عَلَى الْقَوَى الْأَشَدِّ

فالإنجليز دخلوا الحرب متسلحين بالصبر مستقبليها بوجوه باسمة، فالصبر في الحرب غلب العلم وما جاء به من أسلحة متطورة، لذلك استطاع الإنجليز أن يغلبوا الألمان.

ويوصى المصريون أن يتعاملوا مع العدو بحذر وحرص وصبر على محاولته إحباطهم وإفشال محاولاتهم للنهوض، فهم إن فعلوا ذلك لا بد أن يأتي يوم يكون فيه النصر حليفهم⁽²⁾:

أَوْتَسَأَلُوا الْقَلْبَ يَقْلُ حَازِرُوا	وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تَفْلِحُوا
حِكْمًا - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ -	لَغَيْرِنَا مِنْ بَثْرِنَا نَمْتَحُ

ويطلب منهم أن لا يستمروا في الصبر على الذل والفقر بينما الأجنبي الغادر يتمتع بثروات البلاد التي هي من حق المواطن.

ويشير إلى أن أبناء مصر صبروا على الظروف العصيبة التي واجهتهم في بداية حياتهم ، ثم عندما

وصلوا إلى ما يصبون إليه وجدوا له طعاماً أحلى من الشهد، وذلك لأن هذه الراحة لم تأت إلا بعد تعب ومشقة⁽³⁾:

صَبِرُوا عَلَى مَرِّ الْخَطُوبِ فَأَدْرَكُوا	حَلْوَ الْمُنَى مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاحِ
شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ	يَغْزُوهُ رَبُّ عَوَامِلٍ وَصَفَاحِ
الصَّبْرِ - إِنْ فَكَّرْتَ - أَعْظَمُ عَدَّةِ	وَالْحَقُّ - لَوْ يَدْرُونَ - خَيْرُ سِلَاحِ

(١) المرجع السابق: 81/2.

(٢) الديوان: 84/2.

(٣) المرجع السابق: 87-86/2.

والإنسان المتسلح بالصبر لا يعتبر أعزل، فحتى من يحمل السيف والرمح لا يطمع فيه، لذلك يعد الصبر أعظم سلاح يتسلح به الإنسان.

ويبحث أحد أصدقائه أن يكون صبوراً على موت ابنته ، لأن الحسنات عند الله تكب لمن يصبر ؛ فالصبر هو الذي يجعل المصيبة طويلة أو قصيرة، والإنسان الصبور قادر على أن يتخطى لحظات الحزن

ويجعل منها لحظات أمل وتفاؤل⁽¹⁾:

صبراً أبا (مـلـكٍ) فإن الباقيات لمن صبر
وقدر صـبرـ المبتلى طولُ المصيبة والقصر

ويصف حافظ محمد المويلحي (1858-1930م)³² بقوة الصبر وقت الشدة وانغلاق أبواب الفرج فكم تجمل بالصبر والأمان في حالة سبات عميق وكم صبر ولم يجزع على الحظوظ العوثر وكم حاصرته المحن والمصاعب إلا أنه كان كالجبال الرواسي في الصبر والثبات⁽²⁾:

كنتَ نعمَ الصَّبورِ إن حزبَ الأُمـ —ُ وسدَّتْ مسارحَ الأسبابِ
كم تجملتَ والأمانِ صرعى وتماسكُ ت والحظوظُ كوابي
عشت ما عشت كالجبالِ الرواسي فوقَ نارٍ تذيبُ صمَّ الصَّلابِ

ويرى أنه من الطبيعي أن يصل الإنسان إلى ما يريد إذا ما تجمل بالإيمان والصبر⁽³⁾:

وَحَقِيقٌ أَنْ يُوْفِي حَقَّه من يجبلِ اللهِ والصبرِ اعتصم
كما يرى أن الموروث الثقافي العربي علم أبنائه أن الصبر يحل أكبر الأزمات وأصعبها⁽⁴⁾:
علّمونا الصبر يُطْفِي ما استعر إنما الأجرُ لمفجوعِ صبرِ

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن فضيلة الصبر في أثناء قصائده، فنراه يبحث على الصبر حيناً ويشيد ببعض الشخصيات التي سجلت مواقف مشرفة في الصبر حيناً آخر، ولكن حافظاً وقع في تناقض عجيب عندما طلب من الشعب المصري أن يصبر ويحمد الله على نعمة الأمن والاستقرار ؛ فالله سبحانه

(١) الديوان: 175/2.

(٢) المرجع السابق: 219/2.

(٣) قصائد لم تنشر: 254.

(٤) المرجع السابق: 259.

وتعالى يحمد في كل حال، في السراء والضراء، ولكن كيف يكون هناك أمن واستقرار والبلد تعيش في حالة حرب واحتلال. وقد وقع في تناقض آخر عندما كان يطلب من الشعب ومن بعض الشخصيات الصبر بينما هو عندما كان ضابطاً في الجيش أرسل إلى السودان فكان يكثر من الشكوى والتذمر ، ولم يكن شكواه بسبب سوء معاملة الضابط الإنجليزي للضابط المصري، إنما كان لأنه لم يحتمل حياة السودان القاسية فقد افتقد مجالس اللهو والسمر في مصر. وقد ذكر حافظ أبيضاً أخرى في الصبر ولكنها كانت مشابهة لما ذكر سابقاً⁽¹⁾.

(١) للاستزادة: الديوان: (11/1-58-130-239)، (2/32-94-157-199-215-225-226).

قوة العزيمة

العزم في اللغة: ما عُجِدَ عليه القلبُ من أمرٍ أنت فاعلُهُ، أي متيقنُهُ⁽¹⁾.
" والعزم هو اتجاه نفسي جازم ذو نسبة عالية في القدرة على التصدي للعقبات والصعوبات، ومقارعتها ومغالبتها، فهو بسبب ارتقاء نسبه قادر على أن يدفع من طاقات التنفيذ شحنات زائدة على مستوى الطاقات العادية التي تدفعها الإرادة الجازمة بحسب العادة للأمور التكليفية التي يقوم بها معظم الناس"⁽²⁾.

هذا المستوى من قوة الإرادة يعد من أعلى المستويات التي تدفع الإنسان إلى معالي الأمور وتوصيله إلى أعلى المراتب في الدنيا والآخرة.

تحدث حافظ إبراهيم في شعره عن قوة العزيمة، ووصف بها الكثير من الشخصيات وخاصة الإمام محمد عبده (1226-1323هـ)، فقد كان يشيد بمواقفه وقوة عزمته ومضائه قدماً في تطبيق أحكام القرآن الكريم والقيام بأمر الإفتاء⁽³⁾:

وجرّدتَ للفتيا حسامَ عزيمةٍ بحدّيه آياتُ الكتاب المنزّل

وقد وصف الشاعر الفرنسي فكتور هوجو: (1802-1885م) بقوة العزيمة لأنه استطاع بعزمه القوي أن يسرهم في تغيير مجتمعه الفرنسي وتحويله إلى مجتمع حر⁽⁴⁾:

جاءها (هوغو) بعزمٍ، دونه عزّةُ التاج، وزهو الموكبِ

كما وصف كلاً من عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - بقوة العزيمة ومضائهما⁽⁵⁾:

كلاهما في سبيلِ الحقِّ عزمته لا تنتهي أو يكونَ الحقُّ ثانيها

ويصف الشاميين المقيمين في أمريكا بقوة العزيمة في طلب الرزق ومكابدة ميادين الحياة فهم يرفضون الخضوع والذل⁽⁶⁾:

إن ضاقَ ميدانُ سبقٍ من عزائمهم صاحت بهم فأروها ألفَ ميدانٍ

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (عزم).

(2) الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبدالرحمن حبنكة الميداني: 113/1-114.

(3) الديان: 3/1.

(4) المرجع السابق: 22/1.

(5) المرجع السابق: 43/1.

(6) المرجع السابق: 94/1.

لا يستشيرون إن هموا سوى همم
تأبى المقام على ذل وإذعان
وقد أشاد بالمهاجرين الشاميين الذين خرجوا من بلدهم ذاهبين إلى دول المهجر وليس لديهم شيء
يعتمدون عليه سوى عزيمتهم القوية الصادقة⁽¹⁾:

بمضي ولا حي لة إلا عزيمته
ويثنى وحلأه المجد والذهب
يكرُّ صرف الليالي عنه منقلباً
وعزمه ليس يدرى كيف ينقلبُ
لم يحمم علم فيها ولا عددُ
سوى مضاء تحامى وردة الثوبُ

فهؤلاء المهاجرين ليس لديهم في دول المهجر سفارةٌ تحميهم وإنما الذي يحميهم عزائمهم القوية التي تترد
عنها نواب الأيام كليلة مهزومة.

35

كما يرى حافظ أن الإنسان الكادح من أقوى الناس عزيمة فهو يقطع القفار والبحار لطلب
الرزق، وهو في ذلك لا يعول إلا على عزيمته الصادقة في حله وترحاله⁽²⁾:

لا يستشير سوى العزيمة
ة في الموارد والمصادر
ويرى أن العثمانيين جعلوا للشرق في أيامهم همة مثل همة الغرب في النهوض والتطور، ويطلب منهم أن
يجعلوا قوة العزيمة سلاحهم للنهوض، وأن يجعلوا ما يحرك تلك العزيمة الحكمة والتعقل⁽³⁾:

ملك! للشرق في أطلعه
همُّ الغرب، نهوضاً واعتزاماً
وامتطِ العزم جواداً للعل
واجعل الحكمة للعزم زماما

ثم نجده يطلب من المصريين على لسان مصر أن يقفوا وقفة رجل واحد وقفة حزم تغذيها العزيمة القوية
المستعدة للنهوض واسترداد الحقوق⁽⁴⁾:

فقفوا فيه وقفة الحزم، وارموا
جانبيه بعزم المستعد
وكان سليمان أباطة: (1834-1897م) منهم عرفوا بقوة العزيمة فقد وصف حافظ عزيمته بأنها تقهر
حوادث الزمان وشدائده وتغلب الأعداء⁽⁵⁾:

وعزائم كانت تفلُّ عزائم الـ
أحداث، والأطمع والأعداء

(١) الديوان: 210-209/1.

(٢) المرجع السابق: 231/1.

(٣) المرجع السابق: 55-52/2.

(٤) المرجع السابق: 82/ 2.

(٥) المرجع السابق: 122/2.

ومصطفى كامل (1874-1908م) أيضاً كان ممن عرفوا بقوة العزيمة فهذه العزيمة بقدر ما كانت تذهب شدائد الزمان وأخطاره بقدر ما ذهبت أيضاً بجسمه وافتته⁽¹⁾:

أودى به ذاك الجهادُ وهدَّه
عزمٌ يهدُّ جـلائلَ الأخطارِ
لم يلوه عنها الوعيدُ ولا ثنى
من عزمه قولُ المريب: حذارِ

كما يصف حافظ جرجي زيدان (1861-1914م) بأنه رجل قوي العزيمة فهي في مضائها كسن الرمح المنسوب إلى الغند وحاد السيف المصنوع في اليمن⁽²⁾:

وعزماً شامياً له أينما مضى
شباهندوانى وحادٌ يـماني
ويصف الشيخ سليم البشري⁽³⁾ بأن عزمه ما زال شاباً فتياً فلم تصده التسعين عن إدراك الطلب والحاجة⁽⁴⁾:

لم تنقص له التسعون عزماً 36
ولا صدَّته عن دركِ الطلابِ
ويرى أن سعد زغلول : (1860-1927م) صاحب عزيمة قوية فالسجن والنفي لم يصرفه عما عزم عليه بل إنه زاد عزمته قوة فحارب أعدائه مثلما حاربوه⁽⁵⁾:

لم ينهنه من عزمك السَّجْنُ والرِّقْـ
ي وساجلتها (مصر) الضَّرِّابا
عزماً لا يصدُّها عن مـداها
ما يصدُّ السيولَ تغشى الهضابا

فسعد زغلول مثل السيول التي تغشى الهضاب ولا يصدُّها شيء.

ويوصى أبناء مصر أن يناضلوا من أجل مصر بعزيمة قوية ويضرب لهم مثلاً أمة اليابان التي وصلت إلى أقصى درجات التقدم بسبب عزميتها القوية فبالعلم والإرادة وصلوا إلى غاياتهم النبيلة⁽⁶⁾:

بنضالٍ يصقلُ العزمُ به
فاسألوا عنها الثريا لا الثرى
وسهادٍ في العلا حلوا الألم
إنما تحتلُّ أبراجَ الهممِ
أنبلِ الغاياتِ لا تدري السَّأمِ
هممٌ يمشي بها العلمُ إلى

(١) المرجع السابق : 137/2-141.

(٢) الديوان : 166/2.

(٣) سليم البشري : (1248-1335هـ) اختير عضواً في مجلس إدارة الأزهر وتولى مشيخة الأزهر

مرتين. هامش الديوان: 170/2.

(٤) الديوان: 171/2.

(٥) المرجع السابق: 201/2.

(٦) قصائد لم تنشر: (254-255).

من خلال الأمثلة السابقة عن قوة العزيمة في شعر حافظ إبراهيم نلاحظ أن حديثه عن هذه الفضيلة جاء سطحياً؛ ويعود ذلك في -رأبي- إلى افتقاد حافظ لهذه الفضيلة فلم يكن لديه عزيمة ولا قوة إرادة ، ومما يدل على ذلك أنه بعد عودته من السودان وفقدانه لوظيفته في الجيش أخذ يبحث عن عمل، فأكثر من الشكوى والتذمر بدعوى أنه لم يجد عملاً، وهذا الكلام يخالف المنطق لأن حافظاً كان من حملة الشهادات في عصر كان فيه حملة الشهادات قلة، وهذا يعني أن مجالات العمل كانت مفتوحة أمامه ، ولكنه كان كما قال عنه الدكتور عبد الحميد سند " ولكن حافظاً كان متواكلاً كسلان، ينشد عملاً طيباً يقبض منه الراتب الضخم دون أن يكلفه شيئاً من الجهد والعناء"⁽¹⁾.

ولكن الحصول على الأموال والوصول إلى المناصب العالية لا يأتي إلا بالعمل الذي تغذيه العزيمة القوية والإرادة الصلبة وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في قوة العزيمة ولكنها كانت - في رأبي- لا تضيف شيئاً آخر عم جاءت عليه الأمثلة السابقة⁽²⁾.

(١) حافظ إبراهيم شاعر النيل د/ عبد الحميد سند الجندي 175.

(٢) للاستزادة الديوان: (1/18-119-202-246-251-252)، (2/50-90-104-131-144-

176-183)، قصائد لم تنشر : (262-263).

العدل

العدل في اللغة: الحكم بالاستواء. يقال للشيء يساوي الشيء: هو عَدْلٌ، وَعَدَلْتُ بفلانٍ فلاناً، وهو يَجَادِلُهُ⁽¹⁾.

"والعدل في الإسلام هو أن ينال كل ثمار عمله ويتحمل تبعه فعله، وذلك بناء على الآيتين الكريمتين⁽²⁾.

﴿الْأَنْزِرُ وَالزَّرَّاءُ وَزَرَأُخْرَىٰ ۗ وَأَن لِّسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾⁽³⁾

يرى الدكتور أسعد السحمراني أن العدل ضرورة إنسانية فهو أساس رئيسي في انتظام العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهو مقترن بالعمل الصالح والبر والإحسان⁽⁴⁾.

من أهم الشخصيات التي عرفت بالعدل على مر التاريخ الإسلامي الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - لذلك كان جل حديث حافظ إبراهيم عن العدل هو في أثناء كتابته لسيرته رضوان الله عليه، فعمر كان يقيم العدل ويحق الحق حتى وإن كان لضعيف فقير حامل الذكر ويقيم الحد على المعتدي وإن كان من سادة القوم⁽⁵⁾:

فما القوى قوياً رغم عزته
عند الخصومة (والفاروق) قاضيها
وما الضعيف ضعيفاً بعد حجته
وإن تخاصمَ واليها وراعيها

فحجة الإنسان عند عمر هي من تحدد إن كان ضعيفاً أو قوياً.

كما أن عمر لا يتغاضى عن الحق وإن كان عند رجل من سادة القوم مثل أبي سفيان، بل يأخذه منه، وذلك فيما يروى عن معاوية وهو على الشام أنه بعث إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمال وأدهم، وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر، فلما قدم الرسول إلى أبي سفيان سلمه المال والأدهم فدفع أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر، وأخذ المال لنفسه، فعندما قرأ عمر الكتاب، قال أين المال يا أبا سفيان؟ فقال: علينا دين ومعونه، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاضيتنا به، فقال عمر أطرحوه في الأدهم حتى يأتي بالمال، فجيء بالمال، فقام عمر بإطلاقه، فلما عاد

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (عدل).

(2) الفضائل الخلقية في الإسلام د أحمد عبدالرحمن إبراهيم- ص 119.

(3) النجم 38-39

(4) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة- ص 117 (بتصرف).

(5) الديوان: 44/1.

الرسول إلى معاوية قال له معاوية: أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدھم؟ فأجابه: نعم وطرح أباك فيه، قال: ولم؟ قال: جاءه بالأدھم وحبس المال، قال: أي والله، ولو كان الخطاب لطرحة فيه⁽¹⁾:

وما أقلتَ (أبا سفيانَ) حينَ طوى عنك الهدْيَ معترًا بمهديه—

تالله لو فعل (الخطابُ) فعلت— لما ترخَّصَ فيها أو يجاريها

فعمر رضي الله عنه يحق الحق وإن كان على أبيه الخطاب.

لذلك فهو لم يتخورع عن إقامة الحد على ابنه عندما شرب الخمر مساوياً في ذلك بينه وبين غيره من أفراد الرعية⁽²⁾:

وما أصابَ ابنه والسوطُ يأخذه لديه من رُفَّةٍ في الحدِّ يديها

كما أشار حافظ إلى ما كان يتخذه عمر بن الخطاب تجاه من يرى لديه ثروة لا يعرف مصدرها، فقد كان يصادر نصفها إلى بيت مال المسلمين لأنه يرى أنها من حق المسلمين، وكذلك فعل مع عمرو بن العاص عندما رأى ما لديه من ثروة ومتاع، وهو لم يكن يملكها قبل أن يصبح والياً على المسلمين في مصر، فأرسل إليه عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ليقاسمه ماله، ولم يكن من عمرو إلا أن خضع لأمر أمير المؤمنين، وأعطى محمد بن مسلمة نصف ثروته⁽³⁾:

ولم تقلْ عاملاً منها وقد كثرت أمواله وفشا في الأرض فاشيها

وقد كرر عمر نفس الموقف مع ابنه عبدالله، فقد روى أنه مر بنياق تظهر عليها آثار النعمة، وعندما سأل: لمن هذه النياق؟ قالوا له: إنها لابنه عبدالله. فاعتقد أنه لولا أنه ابنه لما استطاع إطعامها فأخذها وردها إلى بيت مال المسلمين باعتبار أنها من حق الرعية⁽⁴⁾:

قد استعانَ بجاهي في تجارتهِ وباتَ باسمِ (أبي حفصٍ) ينمُّيها

ردوا النياقَ لبيتِ المالِ إنَّ له حَقَّ الزَّيَادَةِ فيها قبلِ شارِيتها

وبذلك صار العدل الصفق التي عرف بها عمر بن الخطاب، وقد شهد له بذلك حتى أعدائه، إذ قال له رسول كسرى عندما رآه نائماً بين رعيته: عدلت فأمنت فنمت⁽⁵⁾:

أمنتَ لما أقمْتَ العدلَ بينهمُ فنمتَ نومَ قريرِ العينِ هانيها

(١) الديوان: 44-45/1.

(٢) المرجع السابق: 48/1.

(٣) المرجع السابق: 48/1.

(٤) المرجع السابق: 49/1.

(٥) المرجع السابق: 51/1.

كما أشار حافظ في حديثه عن العدل إلى طوائف المتخرجين من الجامعة من محامين وقضاة ومهندسين وأطباء، ويرى أنهم إذا تولوا المناصب المهمة في البلاد سوف ينشرون العدل بين الناس ويصبح الحق هو القوة المنتصرة⁽¹⁾:

ومن يوكُلُ بالقسطاس بينكم؟ حتى يرى الحقُّ ذا حولٍ وذا غلبٍ
ويطلب من المصريين أن يجعلوا الحق والعدل أساساً لسياسهم⁽²⁾:

بني على الإفك أبراجاً مشيئةً فابنوا على الحقِّ برجاً ينطحُ الشهباً
كما يصف سليمان القانوني⁽³⁾ بالعدل فهو الذي وضع القانون الذي تسير الدولة بمقتضاه⁽⁴⁾:

فهذا سليمانٌ وقانون عدله على صفحاتِ الدهرِ بالتَّوتُّبِ يُكْتَبِ

ويرى حافظ أن استعادة الحقوق إنما يكون بالمطالبة بها باستمرار دون يأس، فللأترك اجتهدوا كثيراً من أجل الحصول على حقوقهم وإقامة العدل، وأن المصريين إذا اقتفوا آثارهم في ذلك لا شك سيحصلون على حقوقهم وقيمون العدل في بلادهم⁽⁵⁾:

فما ضاعَ حقٌّ لم ينم عنه أهْلُ لَقْد ظفر الأتراك عدلاً بسؤلهم
ولا ناك في العالمين مقصّرٌ ونحن على الآثار لا شكّ نظفرٌ

كما يشير إلى وجوب إعادة الحقوق المغصوبة والوقوف في وجه كل سلطان ظالم كما ذكر - أيضاً - العدل الإلهي الذي نزل بأحد السلاطين فقد خلع ونفي وكان ذلك نتجه لما فعله من سلب حقوق الأمة ومصادرة حريتها⁽⁶⁾:

يصيحُ به لارى أو نبلغ المنى ولا شيع أو يرجع الحق غاصباً
يناديه صوتُ الحقِّ: ذق ما أذقتهم فكلُّ امرئ رهنٌ بما هو كاسباً
ويصف قاسم أمين⁽⁷⁾ بأنه كان مناصراً للحق⁽⁸⁾:

(١) الديوان: 206/1.

(٢) المرجع السابق: 212/1.

(٣) سليمان القانوني: 900-974هـ السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان. هامش الديوان: 12/2.

(٤) الديوان: 12/2.

(٥) المرجع السابق: 36/2.

(٦) المرجع السابق: 46-43/2.

(٧) قاسم أمين: 1865-1908م تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضياً بمحكمة الاستئناف الأهلية، وه أول من نادى بتحرير المرأة المصرية في العصر الحديث، وله كتابان (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة). هامش الديوان: 141/2.

(٨) الديوان: 143/2.

حقُّ تناصره، ومفخرةٌ

تمشي إليها غير منتحل

ويشير إلى أن سعد زغلول (1860-1927م) كان يسعى إلى إقامة الحق وتبصير الناس بحقوقهم⁽¹⁾:

ومشى يحملُ اللواءَ إلى الحقِّ

ويتلو في الرأسِ ذاك الكتابا

كلِّمًا أسدلوا عليه حجـاً أباً

من ظلامٍ أزالَ ذاكَ الحجابا

فالإنجليز كلما حاولوا إخفاء الحقيقة سعى سعد زغلول جاهداً إلى كشفها وإظهارها.

ويصف أمين الرافعي⁽²⁾ بأنه رجل لا يرضى إلا بإقامة الحق وإشاعته بين الناس⁽³⁾:

فما سعتَ لغير الحمد تكسبه

ولا رضيتَ لغير الحقِّ إذعانا

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن العدل واتخذ من الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه-

النموذج المثالي للعدل، كما أنه طالب بحق الشعب وضرورة حصوله على حقوقه الإنسانية والسياسية،

لكن هذه المطالب جاءت على نخجل واستحياء، وذلك يعود إلى خوف حافظ من السلطة وأمله في

الحصول على مكانة عالية لديها، كما أنه أشاد^[4] بالهض السياسيين والمفكرين ووصفهم بالعدل.

وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في العدل، ولكنها لم تتميز عن سمات الأمثلة المذكورة بشيء⁽⁴⁾.

(١) الديوان: 202/2.

(٢) أمين الرافعي: 1886-1927م كاتب سياسي معروف وصاحب جريدة الأخبار. هامش الديوان: 205/2.

(٣) الديوان: 206/2.

(٤) للاستزادة: الديوان: (40-13-9-4/1)، (87/2-89-154-186).

التقوى

التقوى في اللغة: من الوقاية، أي ما يقى الشئ، واق الله: بوقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "انقوا الرار ولو بشق تمره" وكأنه أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها. (1)
إذن "التقوى مأخوذة من الوقاية، أي أن تجعل بينك وبين معاصي الله وقاية وحاجزاً، والمتقي هو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينك وبينه" (2).

وقد كانت فضيلة التقوى من جملة الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم في شعره خاصة في الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الأمة العربية وما كان يمارسه عليها المحتلون من ظلم وقهر، لذلك كانت في أمس الحاجة إلى تذكيرها بتقوى الله وطاعته توضيح الدين الإسلامي الصحيح، فكلما ضل الناس عن طريق الحق والرشاد كان الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) النور الذي يهتدون به، فيردهم إلى الحق والدين الصحيح (3):

إني لأبصرُ في أثناءِ بردته
نوراً به تهتدي للحقّ ضلالُ
بمشيةٍ بين صفىِ حكمةٍ وتقى
يجبها اللهُ لآتيهٍ ولا خـالُ

لما يصفه - أيضاً - بأنه الأفضل في التقى والعبادة، لذلك أحبه الجزائريون واستبشروا بقدمه، وقد أشار إلى أن الإمام كان ينشر في مجلة المنار تفسيراً لبعض الآيات القرآنية، مما أسهم إسهاماً كبيراً في فهم الناس للقرآن الكريم، وبالتالي تعمق مفهوم الإسلام في نفوسهم (4):

أنت نعمَ الإمامُ في موطنِ الرأ
وسرى البرقُ للجزائِ رٍ بالبشـ
فقراًنا على ضيائكِ فيه
كلماتِ المهيمِنِ الوهَّابِ
سكناً إلى الذي أنزلَ اللـ
ي، ونعمَ الإمامُ في المحرابِ
— رى بقربِ المطهرِ الأوابِ
هـ وكنا من قبله في ارتيابِ

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (وقى).

(2) صفات المؤمنين في القرآن وآثارها على الإنسان بادي أحمد الكنتي العقبي القرشي - ص 201-1422هـ - مكة المكرمة.

(3) الديوان: 4/1.

(4) المرجع السابق: 11/1-12-13.

فبعد أن قرأ الناس تفسير القرآن أزداد قربه من الله لأنهم فهموا المعاني الصحيحة للآيات بعد أن كانوا في شك في بعض معانيه.

وقد وصف أحد الشخصيات السياسية بتقوى الله والنزاهة والضمير الحي⁽¹⁾:

ربّك والدك الكريم على القى وعلى الرّاهة والضمير الطاهر

ثم يعود حافظ لوصف الإمام محمد بن عبده (1266-1323) بأنه جمع بين الدين والديني ا والبر والتقوى والإحسان فقد كان عالماً عقلاً عبقرياً يخاف الله في كل المواقف لذلك كان يخافه أهل الشك والوسواس⁽²⁾:

43

سلام على الإسلام بعد محمد

سلام على أيامه التضررات

على الدين والدنيا، على العلم والحجاء

على البر والتقوى، على الحسنات

وخفت مقام الله في كل موقف

فخافك أهل الشك والنزعات

ووليت شطر البيت وجهك خاليا

تناجى إله البيت في الخلوات

دعائه الت قوى وأساسه الهدى

وفيه الأيدي موضع اللبانات

كان الإمام متديناً تقياً يمجّد الله ويناجيه في خلوة ومناى عن الراس.

ويصف على أبو الفتوح : (1873-1913م) بأنه كان تقياً حريصاً على الأعمال الصالحة

حتى تعلق منزلته عند الله⁽³⁾:

نصعى وراء الباقي

ت الصلّات وتعتلى

كما أنه وصف السيدة ملك ناصف⁽⁴⁾ (باحثة البادية) بأنها قد ربت تلميذاتها على الفضيلة والتقوى⁽⁵⁾:

ربيتهن على الفضيل

سلة والطهارة والخفر

وعلى ابتلاع شريعة

نزلت بها آى السور

وقد وصف أحد الشخصيات بالتدين وعدم الغفلة عن ذكر الله⁽⁶⁾:

(1) الديوان: 25/1.

(2) المرجع السابق: 129/2-131-133.

(3) المرجع السابق: 158/2.

(4) ناصف : 1886-1918م: بنت المرحوم حفي ناصف بك كانت من فضليات الكاتبات والباحثات :

هامش الديوان: 172/2.

(5) الديوان: 172/2.

(6) المرجع السابق: 179/2.

يا عابدَ اللهِ نم في القبرِ مغتبطاً

ما كنت عن ذكر ربِّ العرشِ باللاهى

يذكر حافظ نفسه بوحشة القبر حيث لا يؤنس فيه إلا تقوى الله سبحانه وتعالى . ويصف الإمام محمد عبده (1266-1323) بأنه رجل تقي منيب، كثير الرجوع إلى الله، وكثيراً ما كان يقوم بأعمال صالحة في حياته⁽¹⁾:

أذكرى الموت لدى الروم، ولا
تغفلي ذكرته عند الهبوب
وفجعنا بإمام مصـلح
عامر القلب وأواب منيب
كم له من باقيات في المدى
والردي بين شروق وغروب

ويشير إلى أن أمين الرافعي (1886-1927م) رجل تربي على الإيمان والتوحيد منذ نعومة أظافره فهو إنسان مؤمن بالله مؤمن بمبادئه⁽²⁾:

جرت على سلفي التوحيد نشأت
في الله والرأي إخلاصاً وإيماناً
وقد وصف محمود سليمان بالقناعة والتدين فهو يسبح الله في السر والعلن⁽³⁾:
بكسرة وكساء عشت مغتبطاً
تسبح الله في سرٍّ وإعلان

هكذا رافقنا حافظ إبراهيم في حديثه عن التقوى من خلال أمثلة من شعره ، وقد اتضح من خلالها أن حافظاً كان لديه نزعة دينية تجعله يتعلق بكل ما يخص الإسلام . فقد قال عنه صديقه الأستاذ أحمد محفوظ: " كان ثابت العقيدة مؤمناً إيماناً ثابت الدعامة، كان يقوم على الاعتماد على الله في حياته كراكب البحر أو كراكب الصحراء الذي يتوجه إلى الله دائماً ليجنبه الغرق أو الضلال في التيه "⁽⁴⁾ . وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن ذلك الإنسان المتشدد في دينه . فقد قال الدكتور عبد الحميد الجندي: " وكان في حافظ خلة طيبة، تلك أنه كان - على حبه لدينه - لا يندفع وراء التعصب المقيت، ولا يعرف عنه أحد أنه حمل على المسيحية أو اليهودية في مجالسه الخاصة أو العامة . والمتصفح لديوانه يجد فيه مدحاً لبعض اليهود مثل المولدة (لونا)، والمغني (جاك رومانو) من أهالي الإسكندرية "⁽⁵⁾ . بالإضافة إلى أنه كان يجلس مجالس اللهو ويشرب الخمر، إلا أن هناك نزعة تدين تظهر في شعره، إضافة إلى أنه كان لديه خوف دائم من الموت والقبر، ولعل هذا ما ولد لديه هذه النزعة الدينية .

(1) الديوان: 182/2-184.

(2) المرجع السابق: 205/2.

(3) المرجع السابق: 216/2.

(4) حافظ إبراهيم شاعر النيل - د/ عبد الحميد سند الجندي - ص 62.

(5) المرجع السابق.

وقد ذكر حافظ أبياتك أخرى في التقوى حملت نفس طابع الأمثلة السابقة تقريباً⁽¹⁾.

(1) للاستزادة الديوان: (1/2-39-123-150). (2/197-219).

الإخاء

يقال في اللغة: (آخا فلان مؤاخاة وإخاء): اتخذهُ أَخاً⁽¹⁾.

"وتطلق كلمة أخ في العقيدة على من يشارك آخر في معتقده، وقد يعبّر عنه بلفظ "أخ في الدين" أو "أخ في الله" وهي الأخوة الإيمانية التي لا يقارنها رابطة مهما كانت وشائج القربى متينة، وهذا المصطلح نشأ في ظل الإسلام"⁽²⁾.

ذكر الدكتور أحمد عبدالرحمن إبراهيم أن علاقة الإخاء بين الناس علاقة لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها، لأنها النشاط الاجتماعي الذي يستطيع من خلاله الإنسان إشباع ميوله الوجدانية، بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من تآزر وتناصر وتعاون بين أفراد المجتمع⁽³⁾.

وقد تناول حافظ إبراهيم هذه الفضيلة في شعره ، فنجد أنه يذكر تلك الأخوة التي كانت بين البلدين مصر والشام، ومؤازرتهم لبعضهم البعض في الظروف الحرجة⁽⁴⁾:

حين قالت لأختها بنتُ مصرٍ إنكم أمةٌ أبتُ أن تضاماً
إنّما الشأمُ والكنانةُ صنوا ن، برغم الخطوب عاشا لزاماً

نحن في حاجةٍ إل كلِّ ما ينــــمى قوانا ويربطُ الأرحاماً

فهو يدعو الشعوب العربية إلى التعاون والتآزر والإخاء لأنه بهذا فقط تقوى الدول العربية وتصبح لها قوتها ومكانتها بين الدول.

ويذكر حافظ أنه عندما ذهب إلى لبنان ظن نفسه أنه سيكون ضيفاً عليهم، ولكنه لم يشعر بذلك بل أحس بأنه موجود بين أهله وإخوانه وأصحابه، ويشير إلى أن الشاميين الذين هاجروا ونبغوا في بلاد المهجر ما زالوا يكونون لإخوانهم العرب مشاعراً الأخوة، فأنى التقوا بهم شعروا أنهم ما زالوا أهلاً وإخواناً⁽⁵⁾:

حسبتُ نفسي نزيلاً بينكم فإذا أهلي وصحبي وأحبائي وجيراني

(١) المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجا (أخا) ط2 - 1989م-1410هـ - دار الدعوة

للطباعة والنشر والتوزيع - اسطنبول.

(٢) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها د/ محمد البابلي - ص 14.

(٣) الفضائل الخلقية في الإسلام د/ أحمد عبدالرحمن إبراهيم - ص 98 (بتصرف).

(٤) الديوان: 1/28-30.

(٥) المرجع السابق: 1/91-94-95.

أنتى التقينا التقى في كل مجتمع
تجرى المودّة في أعراقه طلقاً
لا فرق ما بين بوذي يعيش به
أهلٌ بأهلٍ وإخوانٌ بإخ—وان
كجرية الماء في أثناء أفن—ان
ومسلم ويهودى ونص—راني
فهو يتمنى أن يرى العالم العربي تسوده المحبة والإخاء وأن يسود الإخاء بين كل البشر على اختلاف مشاربهم وأعراقهم ودياناتهم.

ويصف أحمد شوقي (1868-1932م) بأنه أخ كريم، فحافظ لا يجعله في الجهة المقابلة بحيث يكون من المنافسين له، وإنما دائماً يعترف بشاعريته وإجادته، ويذكر مشاعر الأخوة التي بينهما⁽¹⁾:
وشكراً (لشوقي) رسول القريض الـ —كريم الإخاء المتين السبب
ثم نجده يدعو شباب مصر أن يجتمعوا على كلمة⁽²⁾ واحدة ويكونوا إخوة⁽²⁾:

فيأيها الناشئون اعملوا
على خيـر مصرٍ وكونوا يدا
ويذكر الأخوة التي تربط الدول العربية وتآزرها مع بعضها البعض⁽³⁾:
إن ودعا في ثرى الأهـرامِ ذو ألمٍ أجابه في ذرا لبنانَ منتحـبُ
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العربُ
ويصف العاملين في دار رعاية الأطفال بأنهم أهل لمن ينزل في الدار من الأطفال⁽⁴⁾:
ودعتها وتركتها في أهلها وخرجت منشرحاً رضى البالِ
وهذا يدل على روح الأخوة التي كانت سائدة في الدار.

ويرى حافظ أن الدولة العثمانية قد جمعت كل فئات الشعب من المسلمين ومسيحيين ويهود تحت راية واحدة يسودهم الإخاء⁽⁵⁾:

تحالفَ في ظلّ الهلالِ إمامه وحاخامه — بعد الخلافِ— وراهبه
كما يشير إلى الأخوة بين العرب وإن اختلفت دياناتهم، فقد قام مطران كبير من طائفة الروم الأرثوذكس - وهو من أسرة معروفة في بيروت - بالعناية بالجرحي في الفترة التي ضرب فيها الأسطول

(١) الديوان: 129/1.

(٢) المرجع السابق: 203/1.

(٣) المرجع السابق: 211-208/1.

(٤) المرجع السابق: 217/1.

(٥) المرجع السابق: 42/2.

الإيطالي مدينة بيروت، ويرى حافظ أن المسلمين والنصارى إخوة وأهل وطن واحد في الدول العربية وخاصة في منطقة الشام⁽¹⁾:

(مسرّة) الشام؟ إنا
ثقوا فإلا وثقنا
فأنت فخر الرّصاري
إخوانكم ما حيننا
بكم وجئنا قطينا⁽²⁾
وصاحب المسلمينا

وبذلك أصبح هذا المطران مثلاً للمسيحي الشهم الذي يفخر به النصارى كما أنه بأعماله الخيرة كسب صداقة المسلمين وحبهم.

ويطلب حافظ من المصريين أن يكونوا متحابين متوائمين، تربطهم روابط قوية ، لأن العدو يترصد بهم ويستغل ما يحصل بينهم من مشاحنات للإيقاع بهم⁽³⁾:

فلقوها بجرّة من وئام
غير رث العرا وسعى وكد⁴⁷

ويشير إلى موقف مصطفى كامل (1874-1908م) عندما حضره الموت، فقد أوصى بأن لا يتفرق أتباعه وأبناء حزبه، بل يجب أن يكونوا رجالاً تجمعهم المودة والأخوة حتى لا يسر العدو ويتفرقهم⁽⁴⁾:

يناشدنا بالله ألا تفرقوا
وكونوا رجالاً لا تسرّوا الأعدايا

ويعود ويشير إلى روح الأخوة والمودة التي تسود بين أبناء البلدان العربية⁽⁵⁾:

في مصر، في تونس، في الهند، في عدن
في الرّوس، في الفرس، في البحرين في حلب
هذا يحنُّ إلى هذا وقد عقدت
مودة بينهم موصولة السرب

ويرى أن سعد زغلول استطاع أن يجمع الأحزاب والشيوخ والنواب في صف واحد فأصبح يسودهم الإخاء والوئام بدل المشاحنات والضغينة⁽⁶⁾:

قد جمعت الأحزاب حولك صفاً
ونظمت الشيوخ والرؤابا

كما يرى أن المصريين عندما تماسكوا واتحدوا أصبحوا يشكلون قوة قادرة على رد كيد الأعداء⁽¹⁾:

(1) المرجع السابق: 65/2.

(2) القطين: أهل الدار المقيمون فيها: هامش الديوان 65/2

(3) الديوان: 81/2.

(4) المرجع السابق: 135/2.

(5) المرجع السابق: 156/2.

(6) المرجع السابق: 203/2.

فتماسكنا فكانت قوّة

زلزت ركنَ الليالي فأنهدم

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الإخاء باعتباره حلمه وحلم لجميع العرب، فالكل يتطلع إلى اللحظة التي يتحد فيها العرب ويصبحوا إخوةً قولاً وفعلاً لذلك نجده أكثر من ذكر الأخوة العربية ووجوب تأخي أبناء الشعب الواحد، ولكن للأسف حلمه ظل حلماً ولم يتحقق حتى يومنا هذا.

الكـرم

الكرم في اللغة: شرفٌ في الشئِء في نفسه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق. يقال رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كريم⁽¹⁾.

"والكرم هو الإعطاء بيسر وسهولة، ودون عسر وتكلف . وهو إفادة لما ينبغي دون غرض، وليس من الكرم هبة المال جلباً لنفع، أو خلاصاً عن ذم"⁽²⁾.

يرى الدكتور أسعد السحمراني أن الكرم نوع من الإيثار رفيع المستوى ؛ فالكرم هو حالة متوسطة بين الإسراف والتبذير والشح والتقتير، ولا بد أن ينطلق الكرم من نفس طيبة، وأن ينبع من نية فعل الخير فالكريم لا يسعى إلى مظاهر كاذبة يكمن وراءها هدف أي أو مصلحة معينة وإنما هو يفعل الخير خالصاً مخلصاً لوجه الله⁽³⁾.

وقد تحدث حافظ إبراهيم عن الكرم باعتباره صفة متأصلة في الشعوب العربية ، لذلك نجد ما يذكره الشاميون الذين نزلوا مصر من ود ومحبة وكرم، فقد كانوا بمثابة أهل لهم أكرمهم وأحسنوا ضيافتهم وقابلوهم بالترحاب والبشاشة وطلاقة الوجه⁽⁴⁾.

منكم الودّ والرّحى والذّمّما	قد نزلنا جواركم فحمـدنا
منزلاً مخصباً وأهلاً كراماً	وحللنا في أرضكم فأصبنا
فلقينا طـلاقةً وابتساما	وغشينا دياركم حيثُ شئنا

ويصف الشعب اللبناني بكرم الضيافة وطلاقة الوجه وبشاشته مع الضيف، كما أن الشاميين أكرموا وأعزوه حتى كاد من لطفهم أن ينسى أهله وأصدقاءه في مصر⁽⁵⁾:

من كلُّ أبلج سامي الطّرف مضطلع	بالخطبِ متهجّج بالضّيْفِ جدلانِ
حسبي وحسبُ النهي مانلتُ من كرم	قد كدتُ أنسى بهأهلي وخلاني

ويصف أحد الشخصيات بالجوود والكرم، فعطاياه مثل المطر متاحة لكل من يستحق ، وأن النار التي اشتعلت بيته هي ضيفة أصابها التعب والعنت فأرادت أن تدخل بيته من أجل أن يصيبها غيثه وعطاؤه، فهو رجل معروف بكرمه ومواساته لكل منكوب⁽⁶⁾:

(1) معجم مقاييس اللغة ابن فارس: (كرم).

(2) كتاب التعريفات العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني- ص 265 تحقيق وزيادة د /محمد عبدالرحمن المرعشلي- ط1- 1424هـ-2003- دار النفائس للطباعة والنشر - بيروت.

(3) لأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة- ص 129 (بتصرف).

(4) الديوان: 29-28/1.

(5) المرجع السابق: 96-91/1.

(6) المرجع السابق : 182/1.

ونسوا أن جودَ كَفْكَ غـيـثُ
 وهي ضيفٌ أصابه عنتُ الدَّهـ
 ظلُّ للمرثجى الورود قريبدا
 وألقى هذا الفناءَ رحيبدا
 فأتى يبردُ الغليلَ بقطـرٍ
 من ندى سريٍّ يواسي الغريبدا
 ويرى أن عثمان بن أرطغرل⁽¹⁾ أب لكل من له عرق وأصل في الكرم⁽²⁾.
 إذا ضاءت الأحسابُ يوماً لمعرقٍ
 فعثمانُ خيرُ الفاتحينَ لهم أبُ
 ويصف عثمان أباطة⁽³⁾ بالكرم والجود وأن الأرض أمست تتباهى وتفاجر الشهب لأنها نالت شرف
 مواراة جثمانه⁽⁴⁾:

أمست تنافسُ فيك الشُّهْبَ من شرف
 أرضُ، توأريتَ فيها يا فتى الجود
 كما يصف سليمان أباطة : (1834-1897م) بالكرم والجود والنقى، ويتسأل عن حاله في حياته
 البرزخية فقد كان كثير العطاء⁽⁵⁾:

حويِّنا جهينَ لا تك—ذيينا
 كيف أمسى وكيف أصبح فيه
 ما الذي يفعلُ البلى بالجواد ؟
 ذلك المنعمُ الكثيرُ الرّمـاد ؟
 رحمَ اللهُ منه طرفاً تقياً—
 وبميناً تسيلُ سيلُ الغوادي
 ثم يوصى به القوم أن لا يحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت الرقاب من هباته وعطاياه⁽⁶⁾:
 لا تحملوه على الرقاب، فقد كفى
 ما حملتُ من مرِّ وعطاءٍ
 وهو بهذا يمدحه بالكرم والجود.

ويصف الدكتور شبيلي شمیل (1850-1917م) بالكرم والسخاء فهو لم يجمع المال طوال أيام
 حياته⁽⁷⁾:

عاشَ ما عاشَ لا يليقُ على الأ
 يّامِ مالاً ولم يلبنْ للصعابِ
 ويشير إلى أن محمد سليمان (1872-1923م) كان كريماً جداً، إلى درجة أنه أوشك أن يصبح فقيراً
 من جراء كرمه⁽⁸⁾:

(١) عثمان بن أرطغرل: 656-726هـ هو مؤسس الدولة العثمانية. هامش الديوان: 11/2.

(٢) الديوان: 11/2.

(٣) عثمان أباطة: 1848-1896م تولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية، وعمل مفتشاً لتفتيش
 (الزنكلون) كان بيته ملتقى الأدباء والشعراء وكان حافظ كثير التردد عليه. هامش الديوان : 118/2.

(٤) الديوان: 119/2.

(٥) المرجع السابق: 121/2.

(٦) المرجع السابق: 122/2.

(٧) المرجع السابق: 163/2.

(٨) المرجع السابق : 195/2.

أوشك أن يفقره جوده
ومن صنوف الجود ما يفقر
ويصف مصطفى المنفلوطي (1876-1924م) بأنه فتي كريم فهو لم يخلف وراءه مالا لأنه كان مغرمًا
بالأعطيات والهبات⁽¹⁾:

لم تبق يا فتي المحامد مالا
فلقد كنت مغرمًا بالهبات
هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الكرم ونلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أنه أسقط صفة الكرم التي
اشتهر بها بين أصدقائه على الشخصيات التي كان يمدحها أو يرثيها، فعندما قال إن أحدهم لم يجمع
المال طوال حياته كان يتحدث عن نفسه. وعندما قال إن الآخر أوشك على الفقر من جراء كرمه أيضاً
كان يتحدث عن نفسه، فقد ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندي أن: "من أخص صفات حافظ الجود
الذي يكاد يبلغ حد السرفه، كانت حافظة نقوده في متناول كل يد... كان أجود من الريح المرسله كما
يقول صديقه البشرى، ولو أنه قبض يديه بعض الشيء لأصبح من أهل الثراء والغنى، ويتحدث الناس
عن سخائه بما يشبه الأساطير التي نقرأها عن أجود العرب القدامى... من ذلك أنه سمع عرضاً أن امرأة
فقيرة تجاور داره بالجيزة قد جاءها المخاض فبعث إليها بعشرة جنيهات، وكان مرتبه حينذاك لا يزيد
على الأربعين جنيهاً"⁽²⁾. بالإضافة إلى أن حافظ في حديثه عن الكرم جاء ببعض التعبيرات الجميلة وإن
كانت لا تعد مبتكرة.

(١) قصائد لم تنشر 266.

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل - ص 50-51.

الإبـاء

الإبـاء في اللغة: (أبى) الشيءَ يَأبَاهُ وَيَأْبِيهِ إِبَاءً وَإِبَاءَةً - بسكرهما - : كَرِهَهُ. وَآبَيْتُهُ إِيَّاهُ. وَالْأَبْيَةُ: التي عَافَ الْمَاءَ، والتي لا تَتَيْدُ عَشَاءً⁽¹⁾.

وهو: "شدة الامتناع. وكلُّ إِبَاءٍ امْتِنَاعٌ، ولا عكس ورجلٌ أَيْ: يَأْبَى تَحُمُّلَ الضَّمِّ" ⁽²⁾.
"والأبي: الممتنع عن الانقياد"⁽³⁾.

وكثيراً ما كان الإنسان العربي صعب الانقياد، وأكثر ما ظهر إِبَاءُهُ وصموده في العصر الحديث ، أبان الاحتلال الأجنبي ، عندما قاوم الاستبداد والظلم حتى آخر قطرة في دمه، ورفض أن يعيش ذليلاً منكسراً في وطنه، وظل الشعب بجميع أفراده يقاوم، الرجل والمرأة والشيخ والطفل إلى أن زاحت غمة الاستعمار عن بلادنا العربية، وعادت إلى العربي كرامته.

تناول حافظ إبراهيم فضيلة الإباء في شعره ورأى في الشاعر الفرنسي فكتور هوغو صورة قوية للإبـاء ، لأنه فضل حياة المنفى على أن يعيش في وطنه ذليلاً منكسراً ، لذلك فهو عصامي وأبي كما أن المنفى قد زاد قريحته خصوبة مما أدى إلى غزارة إنتاجه⁽⁴⁾:

بشروه بالطلّبي ونسوا أنه ذاك العصامي الأبي

كما وصف أحد الشيوخ بالإبـاء وأنه يستحق كل الرتب والأوسمة التي نالها من الدولة العثمانية⁽⁵⁾:

وما للخليفة أسدى إليه وساماً يليقُ بصدر الأبي ؟

ويصف القائد الفرنسي برثران⁽⁶⁾ بالإبـاء والأنفة⁽⁷⁾:

و(برثران) الذي حاكَّ الإِبـاءُ له ثوباً من الفخر أبلى الدهرَ والحقبا

كما يتحدث عن الروح الجديدة التي سرت في مصر روح تملؤها الغيرة وإبـاء الظلم ، فالإنجليز هم من أشعل نار الوطنية والإبـاء في نفوس المصريين بما صبوه عليهم من ظلم وإذلال ، فقد انقضى عصر النوم

(1) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة طاهر أحمد الزاوي (أبي) - ط3 - دار الفكر.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبدالرؤوف المناوي- ص 27 - تحقيق د/ محمد رضوان الداية - ط1 - 1410هـ -

1990م- دار الفكر المعاصر - بيروت- دار الفكر- دمشق.

(3) هامش كتاب التعريفات للجرجاني- ص 63.

(4) الديوان: 21/1.

(5) المرجع السابق: 199/1.

(6) برثران: 1773-1844 م جاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائداً للمدفعية. هامش الديوان: 213/1.

(7) الديوان: 213/1.

والغفلة وانتهى مفعول المخدر الذي طالما خدرهم به الإنجليز ، وجاء عصر الوطنية الحرة وإبء الضيم ورفع الظلم⁽¹⁾ :

وفيه سرت في (مصر) روحٌ جديدةٌ مباركةٌ من غـيرةٍ تتسعُّ—رُ
تصدى فأوراها، وهيهات أن يبرى سهلاً إلى إخمادها وهـ—ي تزفرُ
مضى زمنُ التَّوَيِّمِ يا نيلُ وانقضـى ففي (مصر) أيقاظٌ على (مصر) تسهرُ
ويصف الإنسان الشرقي بأنه يعشق المجد والكرامة ويأبى الذل والخضوع⁽²⁾ :

إنَّ في اضلاعنا أفئدةً تعشقُ المجد، وتأبى أن تضاماً
ويعبر عن النفس العربية الأبية التي لا ترضى بعيش الذل والهوان⁽³⁾ :

لا نرتضى العيشَ يجرى في ذلِّ وهوان

ويرى أن الشعب المصري شعب قوي وأبي ، فإما أن يعيش حياة كريمة أو يموت ، فذلك أفضل من حياة الذل والاستعباد⁽⁴⁾ :

إلَّ جمعنا للجهاد صفوفنا سنموتُ أو نحيا ونحن كرامُ
كما يصف حافظ نفسه بإبء الإنسان الكريم وصبر الحليم ومفاخرة الإنسان الثري⁽⁵⁾ :

تعودنَ مرئى إبء الكريم وصبرَ الحليم وتية الغنى

ويصف قاسم أمين (1865-1908م) بالإبء لأنه ظل قوياً متمسكاً ومتمسكاً بمبادئه على رغم ما وجه له من طعن ونقد وتجريح عندما أصدر كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة)⁽⁶⁾ :

قد كنتَ أشقانا بنا، وكذا يشقى الأبي بصحبة الوكل⁽⁷⁾

ويرى أنه برحيل مصطفى كامل (1872-1908م) أصبح هناك فراغاً لا يملؤه إلا رجل أبي يشتعل غيرة وحمية⁽⁸⁾ :

(١) الديوان: 35/2.

(٢) المرجع السابق: 59/2.

(٣) المرجع السابق: 63/2.

(٤) المرجع السابق: 92/2.

(٥) المرجع السابق: 111/2.

(٦) المرجع السابق: 143/2.

(٧) الوكل: الضعيف العاجز الذي يكل أمره إلى غيره: هامش الديوان 143/2

(٨) الديوان: 146/2.

تركتَ فينا فراغاً ليس يشغلهُ
 إلا أبي ذكي القلبِ مضطرمُ
 ويرى أن في الموت انتصاراً للأبي على الدهر الغادر لأن الأبي يفضل الموت على أن يذوق ذل الزمان⁽¹⁾:
 صدقتَ ففي الموتِ نصرُ الأبي
 على الدهرِ إن هو يوماً غدرُ
 وقد وصف الشعب المصري بالإبَاء والثبات على المبدأ فقد عذبهم الإنجليز بشتى أنواع الظلم والعذاب
 ومع ذلك لم يجدوا من أحد منهم ميلاً أو استسلاماً⁽²⁾:
 هل ظفرتم من بقلب أبي
 أو رأيتم من إليكم مثاباً؟
 كما يصف أمين الرفاعي بك (1886-1927م) بأنه رجل أبيّ ثابت على مبادئه؛ فالمال لا يغريه
 ليحيد عن مبادئه، ولا يلين ولا يضعف ولا يتراجع عن مواقفه مهما قست عليه الظروف⁽³⁾:
 لم يلوهُ المالُ عن رأيٍ يدينُ به
 (ولو حملتَ إليه الدهرَ ملائناً)
 ولم يلبسْ عوده للخطبِ يرهقه
 قسا عليه شديدُ العيش أم لانا؟
 كما يشير إلى أن محمود سليمان أورث أبنائه أخلاقه الكريمة من الرفعة وشرف النفس والإبَاء وعزة
 الشأن⁽⁴⁾:

أورثتهم شمماً، هسَّ الإبَاءُ لهُ
 وأورقت في ذراه عَزَّةُ الشَّانِ
 ويشير إلى أن محمد المويلحي (1858-1930م) رجل أبي لأنه عاف الغنى الذي لا ينال إلا بالذل
 لأن فقد الإبَاء شر ما يصاب به المرء⁽⁵⁾:
 ونبذتِ الثَّاءُ تبذُلُ فيه
 من إبَاءٍ في بذله شرُّ عابِ
 وحديث حافظ إبراهيم عن الإبَاء اقترن في أحيان كثيرة بالظلم، وذلك شيء طبيعي لأن صفة الإبَاء
 أكثر ما تظهر عندما يتعرض الإنسان للظلم والإهانة. وقد وصف حافظ نفسه بالإبَاء، ولكني اختلف
 معه كثيراً؛ فهو لم يكن بالرجل الأبي وذلك لأنه كان غير راض عن أداء الحكومة في تلك الفترة، وغير
 راض عن الوضع السياسي والأمني والإنساني في تلك الفترة، ومع ذلك لم يجرؤ على البوح، فقد كانت
 له أشعار ينتقد فيها الحكومة، ولكن كان يفضل أن يقولها في الخفاء خوفاً من السلطة، ولم يقف الأمر
 عند ذلك بل إنه كان يمدح الحكومة، ويتمنى أن يكون ذا حظوة عندها، وكان يمدح المحتلين مح ولاً

(1) الديوان: 192/2.

(2) المرجع السابق: 202/2.

(3) المرجع السابق: 205/2.

(4) المرجع السابق: 216/2.

(5) المرجع السابق: 219/2.

مساوئ الاستعمار إلى محاسن وذلك نحو قوله يصف اللورد الإنجليزي بأنه كان رحيماً بالضعفاء يقدم لهم المساعدة ويمد لهم يد العون إذا نزلت بهم المحن⁽¹⁾ :
وكنْتَ رحيماً القلب تحمي ضعيفنا وتدفعُ عنّ حادثَ الدهرِ إن عدا
فهذا البيت دليل واضح على تملك حافظ للمستعمرين .

(١) : لمرجع السابق 21/2 .

التواضع — ع

التواضع في اللغة: "من وضع أصل واحد يدلُّ على الخَفْضِ [للشيء] وَحَطَّهُ وَوَضَعَهُ بِالْأَرْضِ وَضَعًا، وَوَضَعَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا"⁽¹⁾.

وقال الفضيل بن عياض: "هو الخضوع للحق والانقياد له ولو سمعته من صبي لقبته"⁽²⁾. ويرى الدكتور أحمد عبدالرحمن أن التواضع لا بد أن يكون ضرباً من التقويم النقدي الموضوعي للنفس وللآخرين.

ومعنى هذا أن الغيرية داخلية فيه، لكن على نحو خاص غير إيجابي فالإنسان المتواضع لديه حرص على أن يتعرف على الناس معرفة نقدية موضوعية، لذلك نجده يبحث في شخصياتهم على ما يميزهم، ويفترض أن هناك الكثير من المواهب والفضائل التي يتحلون بها، ولم يطلع عليها بعد، ومن جهة أخرى نجده حذراً جداً في تقويمه لنفسه فهو يخشى الوقوع في المبالغة، أما إذا أخطأ الآخرون في تقويمه فإنه يسعى إلى توضيح الأمر لهم بنفسه⁽³⁾.

تحدث حافظ عن فضيلة التواضع من خلال وصفه لبعض الشخصيات وإشارته لبعض المواقف فقد وصف أحد الشخصيات بالتواضع، وأن تواضعه قد استمر معه إلى أن وصل إلى أعلى المراتب⁽⁴⁾:

لبسَ التواضعَ حلقاً ومشى إلى رتبِ الجلالِ مسدداً الأقدام

كما أشار إلى موقف خالد بن الوليد عندما استقبل عزل عمر بن الخطاب له عن إمارة الجيش بكل رحابة صدر، وأطاعه ولم يعترض، وقد نفذ بلال بن رباح أمر عمر بن الخطاب في خالد بأن يجره بعمامته، بعد أن استحيا أبو عبيدة بن الجراح أن يفعل ذلك فوضع بلال عمامة خالد في رقبته ثم أعادها إلى رأسه مرة أخرى، وقال له: نطيع أمراءنا ونكرم ساداتنا⁽⁵⁾:

واستقبلَ العزلَ في إبلقٍ سطوته ومجده مستريحَ الرُّقْسِ هاديه —

يقوده حبشي في عمامته ولا تحركُ مخزومٌ عواليه —

(1) معجم مقاييس اللغة ابن فارس (وضع).

(2) الأخلاق في الإسلام د: كايد قرعوش/ د. خالد القضاة/ د. عبدالرزاق أبو البصل/ د. محمد حسن الشبلي/ د. محمد نصر موسى/ د.

نصر البنا/ د. وليد السعد- ص 205- ط4- 1424هـ- 2004م- دار المناهج للنشر والتوزيع - عمان - الأردن.

(3) الفضائل الخلقية في الإسلام- ص 234-235 (بتصرف).

(4) الديوان: 24/1.

(5) المرجع السابق: 46/1.

ألوى القيادة إلى الجراح ممتثلاً وعزّة الرّيس لم تجرح حواشيها
وانضمّ للجند يمشى تحت رايته وبالحيّاة إذا هالت يفدّيهـا

وهذا يدل على تواضع خالد بن الوليد، فهو لم يعترض ولم يثر بل امتثل لأمر عمر وسلم قيادة الجيش لأبي عبيدة بن الجراح، وانضم للجند كواحد منهم.

كما أشار حافظ إلى موقف رسول كسرى عندما جاء إلى بلاد المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب باحثاً عن الخليفة، وكان متوقفاً أن يراه في قصر مثل قصور الملوك والسلاطين، لكنه تفاجأ عندما وجد خليفة المسلمين يسكن في بيت مثل بيوت أفقر العرب، فدهش مما رآه، وبحث عنه فوجده نائماً تحت ظل شجرة عظيمة، متخذاً من الرمل وسادة تحت رأسه، ومتلففاً ببردة قديمة بالية، فهاله هذا التواضع من أمير المؤمنين⁽¹⁾:

55

وراعٍ صاحب (كسرى) أن رأى عمراً بين الرّعيّ عطلاً وهو راعيها
فوق الثّوى تحت ظلّ الدّوح مشتملاً ببردة كاد طول العهد يبليها

و يشير - أيضاً- إلى ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد الذهاب إلى بيت المقدس فرأى فرسه يتوجع فنزل عنه، وركب برذون وهو ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمار فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: قبّح الله من علمك هذا الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعدما تركه أياماً فركبه حتى وصل إلى بيت المقدس⁽²⁾:

ردّوا ركابي فلا أبغى به بدلاً ردّوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

ويصف إحدى الشخصيات بالتواضع ويرى أن تواضعه جعله من أحسن الناس⁽³⁾.

حلّو التواضع والوقار ضعُ آية القوم الخيار

كما يرى أن قاسم أمين (1865-1908م) كثير الفضائل ومتواضع في غير ابتدال⁽⁴⁾:

جمُّ المحامد غير مهتمِّ جمُّ الوقاضع غير مبتدل

ويشير إلى أحد الفلاسفة الروس بأنه عاش حياة الزاهدين على رغم أنه كان يملك الكثير من الأموال ومات ولم يزره الغرور لحظة⁽⁵⁾:

(١) الديوان: 51/1.

(٢) المرجع السابق: 52/1.

(٣) المرجع السابق: 74/1.

(٤) المرجع السابق: 142/2.

(٥) المرجع السابق: 150/2.

يناديك: أهلاً بالذي عاشَ عيشنا وماتَ ولم يدرج إليه غرورٌ
كما يصف إسماعيل صبري باشا (1854-1923م)⁽¹⁾ بالتواضع وأن هذا التواضع يزين نفسه كما
يزين الحياء النساء⁽²⁾:

يزينُ تواضعه نفسه كما زانَ حسنَ الملاح الخفِرُ
ويرى أن تواضع العالم الحقيقي له روعة يسقط معها تكبر مدعى العلم⁽³⁾:
تواضعُ العلم له روعةٌ ينهار منها صلفُ المدعى
ويصف عبدالمخالق ثروت باشا (1873-1928م) بأنه رجل متواضع لين الجانب لم يخالط نفسه الزهو
والكبر⁽⁴⁾:

56
زهُوُ المدلِّ يحاطُ بالإعجابِ
حلُّ القَاضِعِ لم يخالط نفسه
ومن خلال حديث حافظ إبراهيم عن التواضع نلاحظ أنه ركز على مواقف بعض الشخصيات التي
تدل على تواضعهم ووصف البعض الآخر بالتواضع بشكل مباشر ولكن كلتا الحالتين كانت مجرد
إشارات سطحية لصفة التواضع ولم يتناول هذه الفضيلة بشيء من العمق والفلسفة التي تسهم في إظهار
خلجات النفس ومكوناتها التي بدورها تكسب الشعور إحساسه الطبيعي. كما أن حافظ نفسه كان
يتصف بهذه الصفة الجميلة وقد وضحنا ذلك من خلال ترجمتنا له في مقدمة البحث.

(١) إسماعيل صبري: 1854-1923م تولى عدة مناصب قضائية وإدارية، وآخر منصب تولاه وكالة الحفانية عرف شعره بالرقعة
ولطف الصياغة وجودة النسيب. هامش الديوان: 187/2.

(٢) الديوان: 190/2.

(٣) المرجع السابق: 208/2.

(٤) المرجع السابق: 210/2.

الرحمة

الرحمة في اللغة: من رحم وتدل على الرقة والعطف والرافة. يقال من ذلك رَحِمَهُ يَحْمُهُ، إذا رَقَّ له وتعطفَ عليه⁽¹⁾.

" وهي رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس . أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس، أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"⁽²⁾. وهي أيضاً: " عبارة عن التخلص من أنواع الآفات وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات"⁽³⁾.

ويرى الدكتور أحمد عبدالرحمن إبراهيم أن الرحمة مبادرة إنسانية تدل على سمو الحس الإنساني وتوطد مشاعر الإخاء بين أفراد المجتمع الواحد فهي التعبير العملي عن تعاطف الإنسان مع أخيه الإنسان فيما يواجهه من أحزان⁽⁴⁾.

كثيراً ما كان الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- هو المثال الذي يحتذى به في معظم الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم، وها هو ذا مثال يحتذى به في الرحمة فقد وصفه حافظ بأنه رحيم بالضعفاء قوي جبار على الأقوياء المتجبرين⁽⁵⁾:

كم خفتَ في الله مضعوفاً دعاك به وكم أخفتَ قوياً ينثنى تيبها
وذكر أنه كان رحيماً جداً ولكنه لا يظهر ذلك وإنما يظهر قوته وقسوته فهو في أقصى حالات قوته وغضبه كان يحمل في صدره قلب أم حانية على أولادها⁽⁶⁾:

في طى شدته أسرارُ مرحمةٍ للعالمينَ ولكن ليسَ يفشيها
وبينَ جنبه في أوفى صرامته فؤادُ والده تترعى ذراريها

ثم يصف كلمات أحمد شوقي (1868-1932) بأنها أحن على من أضناه التعب من الشجرة العظيمة الوافرة الظلال وأعطف على المولود من ثدي أمه⁽⁷⁾:

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (رحم)

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حبنكة- 5/2.

(٣) التفسير الكبير - الإمام الفخر الرازي- 7/1- 3- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٤) الفضائل الخلقية في الإسلام- ص 75 (بتصرف).

(٥) الديوان: 44/1.

(٦) المرجع السابق: 54/1-55.

(٧) المرجع السابق: 77/1.

أحنُّ على المكدود من ظلِّ دوحَةٍ وأحنى على المولود من ثدى مِرضع
على سرِّها رفقٌ يسيلُ ورحمةٌ وروحٌ لمن يأسى وذكري لمن يعى

ويصف مشرط أحد الأطباء بالرحمة واليمن والرفق فهذا المشرط يساعد على تخفيف آلام الناس ويساعد على شفاء المرضى^(١):

ومشـرطاً جمَّعَ من رحمةٍ وصيغَ من يمنٍ ومن رفقٍ

ويخبر حافظ أنه رحم حال فتاة مسكينة لأنه مثلها عاش حياة اليتيم والفقر والتشرد^(٢):

فعلمتُ ما تخفى الفتاة، وإنما يحنُّ—و على أمثالها أمثالي

كما يشير إلى أن دور رعاية الأطفال تفيض بالرحمة والحنان التي تغمر من ينزل بها^(٣):

ملئتُ رحمةً وفاضتُ حناناً فهي للبائساتِ دارُ السَّلامِ

ويخاطب اللورد الإنجليزي بمصر ويحثه على الرحمة^(٤) والمودة لكي يستطيع استمالة الشعب^(٤):

فاجعلْ شعارك رحمةً ومودَّةً إن القلوبَ مع المودَّةِ تكسبُ

ويصفه — أيضاً— بأنه كان رحيماً بالضعفاء يقدم لهم المساعدة ويمد لهم يد العون إذا نزلت بهم المحن^(٥):
المحن^(٥):

وكنتَ رحيماً القلب تحمى ضعيفنا وتدفعُ عنا حادثَ الدَّهرِ إن عدا

ويعد هذا مظهراً من مظاهر تملق حافظ للمستعمرين.

وينصح حافظ العرب أن ينهجوا نهج الغرب في النهوض والتقدم ولكن عليهم أن يجتنبوا طمعهم وجشعهم وأن يلتزموا بالرحمة والتقوى التي هي من مبادئ دينهم^(٦):

جانِبِ الأطماعِ وانهج نهجه واجعلِ الرِّحمةَ والقوَى لزاما

ويصف محمود سليمان بالبر والرحمة فقد أقام لأبنائه صرحاً عالياً من المجد والسمعة الحسنة^(٧):

يذكرنَ برّاً رحيماً قد أقامَ لهم صرحاً من المجد أعلى ركنه الباني

(١) الديوان: 97/1.

(٢) المرجع السابق: 215/1.

(٣) المرجع السابق: 226/1.

(٤) المرجع السابق: 19/2.

(٥) المرجع السابق: 21/2.

(٦) المرجع السابق: 55/2.

(٧) المرجع السابق: 216/2.

حديث حافظ إبراهيم عن فضيلة الرحمة تميّز بأنه خلّع صفة الوحمة على الجماد على كلمات شوقي
ومشروط الطبيب وبذلك يكون حافظ خرج من روتين الوصف المباشر للشخصيات وذكر مواقفها كما
أنه وسع مفهوم الرحمة وفتح له آفاقاً جديدة.

المروءة

المروءة في اللغة: هي كمال الرجولة⁽¹⁾.

"هي صفة للنفس تحملها على فعل كل خير، ودفع كل ضرر كلما وجدت لذلك سبيلاً، فهي عنوان علو الهمة، وشرف النفس، ودليل الكرم"⁽²⁾.

ذكر في كتاب فتح الخلاق في مكارم الأخلاق أن المروءة كلمة جامعة وشاملة للعديد من الفضائل والأخلاق الكريمة، مثل الكرم والشجاعة وعزة النفس فهي تجعل صاحبها محبوباً ممن حوله متطلعاً دائماً إلى الكمال، وتمسكاً بالخصال الكريمة، فمن تجرد من المروءة فقد تجرد من جملة الأخلاق الفاضلة وعاش نذلاً خسيساً منبوذاً ممن حوله فلا يجد صديقاً يعطف عليه ويواسيه إذا أصيب بمكروه ولا قريباً يتودد إليه إذا نزلت به نازلة فتضيع حياته في التعاسة والوحدة والوحشة ويحرم من الاستمتاع بالحياة لأنه لا يأتي إلا بمشاركة الناس أفراحهم والتعاون معهم في أوجه الخير والصلاح⁽³⁾.

من خلال حديث حافظ إبراهيم عن المروءة كسر قاعدة كانت سائدة عند العرب والمسلمين ، حيث كانوا دائماً يضعون اليهود في الجهة المقابلة لهم، لكن حافظ من خلال وصف لأحد المغنيين اليهود بالمروءة والرجولة كسر تلك القاعدة⁽⁴⁾:

ومروءة لو أنها قد قسّمت
بين اليهود لأحسنوا وتصدّقوا

فهذه المروءة لو قسمت على اليهود وهم شعب متمرّد ومخادع لأحسنوا وتصدّقوا.

كما يصف الأطباء الذين يعملون في دار رعاية الأطفال بالمروءة فهم ، لم يجرّجوا الفتاة ويسألوها عن اسمها فكل ما يهمهم هو إنقاذ المريض بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى وهو يشير إلى وجوب التراحم والتعاطف ويهدف إلى استنهاض مروءة الشعب⁽⁵⁾:

لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها
يا عين سحى، يا قلوب تفتّرى
تلك المروءة والشّعورُ العالى
يا نفس رقى يا مروءة والى

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مرأ).

(2) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق- أحمد سعيد الدجوي- ص 74- تحقيق عبدالرحيم مراديني- ط1- 1411هـ- 1991م - مكتبة دار المحبة- دمشق.

(3) المرجع السابق (بتصرف).

(4) الديوان: 170/1.

(5) المرجع السابق: 217/1-218.

ويذكر حافظ أن قلبه يهتز اشتياقاً لذكرى المروءة والكرم وسائر الصفات الكريمة التي يتصف بها الشعب المصري⁽¹⁾:

وتهزُّني ذكرى المروءة والرِّدى
بين الشَّمائلِ هزَّةَ المشتاقِ
ثمَّ يصف الغريق الذي سقط من القطار في نهر النيل وأنقذه أحد ركاب القطار بأنه من أصحاب المروءة والبر⁽²⁾:

ورأينا شخصَ المروءة والبرِّ — رَّ تَبدى في شخص ذاك الهمامِ
ثمَّ إنه يطلب من النساء أن يخرجن ويظهرن مروءتهن ومساعدتهن للبائسين ، لأن وجودهن جنباً إلى جنب مع الرجل يقويه ويجعله أكثر اندفاعاً ، كما أن رجال الإسعاف يعرضون أنفسهم للخطر من أجل إنقاذ الآخرين لا لشيء سوى أن مروءتهم تدفعهم لذلك⁽³⁾:

قهن علِّمننا المروءةَ والعطِّ — فَعلى البائسين والسؤالِ
لا لشيءٍ سوى المروءةَ يحلو — طعمها في فم المريءِ الموالي
كما يطلب من الإنسان العربي أن يسابق الغربي في النهوض ولكن ع ليه أن يلتزم بالمروءة والقوة التي عرف بها⁽⁴⁾:

سابقِ الغربيِّ واسبقْ واعتصم — بالمروءات وبالْبأسِ اعتصاما
ويخبر المتسائلون عن المروءة والوفاء والرأي السديد وأنها متمثلة في شخص مصطفى كامل باشا (1874-1908م)⁽⁵⁾:

فيا سائلي أين المروءةُ والوفاء — وأين الحجا والرأى ؟ ويحك هاهيا
ثمَّ يصف أحمد حشمت (1858-1926م) بالكرم والمروءة فقد أصبح الكرم مستوحشاً بعده والمروءة أقفرت⁽⁶⁾:

وأرى الرِّدى مستوحشاً قلقاً — وأرى المروءةَ أقفرتُ ربيعاً
في حديث حافظ إبراهيم عن المروءة نلاحظ أنه توقف عند المعنى الحرفي للمروءة والمروءة خ لق مركب يدخل فيه عدد من الأخلاق ، كما أشرت إلى ذلك في بداية الحديث عن المروءة ، وهذه الميزة في المروءة تفتح آفاقاً واسعة أمام الشاعر لكي ينظر إليها من زوايا متعددة ، ولكن حافظ لم يستغل هذا الجانب وتوقف عند المعنى الحرفي الإشاري للمروءة.

(١) الديوان: 219/1.

(٢) المرجع السابق: 227/1.

(٣) المرجع السابق: 247-246/1.

(٤) المرجع السابق: 55/2.

(٥) المرجع السابق: 134/2.

(٦) قصائد لم تنشر: 267.

الصدق

الصدق في اللغة: الصدقُ: خلاف الكذب، سبب لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطلٌ ، وأصل هذا من قولهم شيءٌ صدقٌ، أي صلبٌ⁽¹⁾.

الصدق: "الإخبار عن الشيء على ما هو عليه في الواقع"⁽²⁾.

يرى الدكتور أسعد السحمراني أن الصدق من أهم الفضائل التي تزرع الثقة بين الناس مما يثمر وحدة مجتمعية وتماسكاً قوياً بين أفراد الجماعة الواحدة ، كما أن الصدق يبرز استقامة الإنسان الذي يتصف به ويوضح شجاعته واتزانه ، لأن الصدق يجمع خصالاً محمودة قلما وجدة في غيره⁽³⁾.

قد تناول حافظ إبراهيم الصدق في شعره وبدأه بالحديث عن نفسه بأنه لم يصف كأساً بمعنى أنه لم يصف خمراً، ولم يتلذذ بها ولم ييك على الإطلال ، ولم يدع شيئاً لنفسه وهو في الواقع لغيره ، ولم يتكلف النبل ويتشبه بالنبلاء، وجميع هذه الصفات من الأخلاق الحسنة التي تدل على صدقه مع نفسه ومع الآخرين⁽⁴⁾:

ولم أصف كأساً ولم أبك منزلاً
ولم أنتحل فخرأً ولم أتنبل

ويتابع حديثه عن نفسه ويشير إلى أن من سمعوا شعره في الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) قالوا له صدقت في مدحه، وهو يرى أنهم صادقون فيما وصفوه به من مصداقية في مدحه له⁽⁵⁾:

قالوا صدقتَ فكان الصدقَ ما قالوا
ما كلُّ منتسبٍ للقولِ قولُ

وهو بذلك يثبت لنفسه الصدق ، بمعنى أنه لا يمدح الرجل إلا بما هو فيه والصدق من أهم الصفات التي تجعل الناس يفضلون شاعراً على آخر ، فعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يفضل زهير بن أبي سلمى لأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما هو فيه بمعنى أنه كان يتحرى الصدق في شعره.

كما يصف الشاعر الفرنسي فكتور هوجو بصدق القول⁽⁶⁾:

قلتَ عن نفسك قولاً صادقاً
لم تشبهه شائباتُ الكذبِ

(1) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (صدق).

(2) الأخلاق في الإسلام د/عبد اللطيف محمد العبد- ص 170- ط2- 1409هـ - 1988م - دار التراث - المدينة المنورة.

(3) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة- ص 133 (بتصرف).

(4) الديوان: 2/1.

(5) المرجع السابق: 3/1.

(6) المرجع السابق: 22/1.

ويرى أن الذي حمى شعر شوقي (1868-1932م) من الزلل هو أنه جعل الحقيقة غرضه الذي يرمى إليه في قصائده⁽¹⁾:

ما كان يأمنُ عثرةً لو لم يكن
روحُ الحقيقة ممسكاً بعنانهِ
وهو بذلك يمدحه بالصدق في شعره.

كما يصف أحد المثقفين بأنه محب للصراحة والصدق والوضوح وكاره لمن يظهر خلاف ما يبطن⁽²⁾:

يا عاشقَ الخلق الصرّايِّ —
سح وشانيءَ الخلق الموارى
ويرى أن جريدة الشرق تهدف إلى الحقيقة والإصلاح⁽³⁾:

الحقُّ فيه زيتُه، وقتيله
صدقُ الحديثِ، ونوره الإصلاحُ

ويصف حنفي ناصف بك⁽⁴⁾ بأنه عاش وظل حتى أواخر حياته وهو في كامل قواه العقلية فلم يصيبه ما يصيب العقل من أمراض الشيخوخة كما أنه إنسان صادق في تعامله مع الناس فهو يعاملهم في مغيبيهم مثلما يعاملهم في حضورهم⁽⁵⁾:

عاشَ خصبَ العمر موفور الحجا
صادقَ العشرة مأمونَ المغيبِ

ويرى أن سعد زغلول (1860-1927م) بصراحته وصدقه يقتل ما يقوم به المنافقون من مؤامرات ودسائس فمنهجه هو الصدق والصراحة والوضوح⁽⁶⁾:

تقتلُ الدسَّ بالصرِّاحِ — قتلاً
وترى الصرِّدَ والصرِّاحَ ديناً
تعشقُ الجوّ صافي اللّون صحواً
أنت أوردتنا من المءاء عذباً
وتسقى منافقَ القوم صابا
لا يراه المخالفون صوابا
والمضلون يعشقون الضرباً
وأراهم قد أوردونا السرابا

فسعد زغلول عاشق للشفافية مع الجماهير في سياسته أما الإنجليز فيهم من عشاق سياسة التعتيم.

(1) الديوان: 61/1.

(2) المرجع السابق: 74/1.

(3) المرجع السابق: 100/1.

(4) محمد حنفي بيك ناصف: (1272-1337هـ) هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف كان أستاذ اللغة العربية في مدارس الحكومة اختير للتدريس في مدرسة الحقوق، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومي، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية فوكيلاً لإحدى المحاكم، وانتخب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، ثم انتخب مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف. هامش الديوان: 130/1.

(5) الديوان: 186/2.

(6) المرجع السابق: 203/2.

من خلال الأمثلة السابقة نلاحظ أن حافظ إبراهيم بدأ حديثه عن الصدق بنفسه ، فقال إنه لم يصف الخمر و لم يتلذذ بها في حين أن لديه قصائد كاملة في ديوانه عن الخمر ، يصف فيها الخمر ويتلذذ بها، وقد سميت بالخمریات بالإضافة إلى أبيات و صف الخمر التي كانت تأتي في أثناء قصائد مدحه وراثته وشكواه كما أن مفهوم الصدق واسع جداً ولكن حافظ كعادته اكتفى بالمعنى الإشاري الحرفي للصدق.

الأمانة

الأمانة في اللغة: "الأمانة هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، قال الخليل: الأمانة من الأمن، والأمان إعطاء الأمانة، والأمانة ضد الخيانة⁽¹⁾."

هي: "شعور المرء بتبعية في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه على النحو الذي فصله الحديث الكريم⁽²⁾:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته"⁽³⁾.

ذكر الدكتور محمود بابلي أن الأمانة من أبرز الصفات الحميدة التي يجب على المسلم التخلق بها، لأنها تشيع الثقة بين الناس فيزداد إقبالهم على التعامل مع هذا الإنسان المشهور بالأمانة ، لأنهم ميقنين من سلامة عاقبة تعاملهم معه.

كما أنها كانت من أبرز الصفات التي عرف بها الرسول صلى الله عليه وسلم بين قومه قبل البعثة، لذلك سموه الصادق الأمين، وقد كان لأخلاقه الفاضلة تأثيراً كبيراً على الكثير من الناس، فدخلوا الإسلام دون تردد لما عرف عن الرسول الكريم من أمانة وصدق وأخلاق فاضلة⁽⁴⁾.

وتحدث حافظ إبراهيم عن الأمانة في شعره ، وبدأ حديثه عنها بوصفه أحد الشخصيات بأنه خير من يؤتمن على الحج، وخير من يكون العين الساهرة التي ترعى وتنظم الحج⁽⁵⁾:

يا أمير الحج! أنت له خيرٌ واقٍ خيرٌ مؤتمن

كما أنه يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) بالأمانة في كل شيء⁽⁶⁾:

يا أميناً على الحقيقة وإلاف - ستاء والشرع والهدى والكتاب

كما يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لا يقدم على قول أو فعل إلا أراد به مصلحة رعيته وفائدتها وهذا يدل على حرصه ومدى إحساسه بالأمانة والمسؤولية⁽¹⁾:

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (أمن).

(2) خلق المسلم - محمد الغزالي - ص 45 - ط2 - 1406هـ/1986م - دار القلم للطباعة والنشر - دمشق.

(3) رواه البخاري 119/13 في فتح الباري بشرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تقديم وتحقيق وتعليق عبد

القادر نبيه - ط1 - 1421هـ - 2001م - مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض.

(4) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصده - ص 147 (بتصرف).

(5) الديوان: 2/1.

(6) المرجع السابق: 11/1.

فما يعالجُ من قولٍ ولا عملٍ
إلا أرادَ به للآسِ ترفيها
كما تطرق حافظ إلى الأمانة الأدبية حيث أشار إلى أمانة الكاتب الذي قام بترجمة كتاب نواذر الفلك لأرسطو، فقد كان حريصاً على نقل كل معلومات الكتاب ، كما هي في الأصل، وقد كان يرى حافظ أن الترجمة يجب أن تكون نسخة طبق الأصل عن الكتاب المترجم، وإن لم تكن كذلك فإنها تذهب سدى⁽²⁾:

تصونُ معنى ربه
والرُّقْلُ إنْ عدَمَ الأما
صـونَ اللآليءِ في الحارِ
نَـةٌ كـانَ عنوانَ الخسارِ

ويبحث مصطفى صادق الرافعي (1880-1937م) على امتلاك ناصية الشعر والأمانة فيه⁽³⁾:

وهذا الصرَّوْجانُ فكن حريصاً
كما يصف أمين الرافعي بك (1886-1927م) بالأمانة والقوة فقد كان يتلقى الخطوب العظام بالفرح⁽⁴⁾:

إلى أمينٍ على أوطانه يقظٍ
ذي مرّةٍ يتلقى الخطبَ جدلانا

من خلال الأمثلة السابقة تحدث حافظ إبراهيم عن الأمانة وأشار إلى الأمانة الأدبية وشدد على ضرورة الأمانة في الترجمة وأنها يجب أن تكون نسخة طبق الأصل، وهذا ما لم يفعله حافظ في ترجمته لرواية البؤساء التي ألفها الشاعر الفرنسي فكتور هوجو (1802-1885م)، فقد خرجت نسختها العربية بملاحم مختلفة عن النسخة الفرنسية الأم، وهذا يدل على عدم أمانة حافظ في الترجمة، وقد يعود إلى عدم تمكنه من اللغة الفرنسية⁽⁵⁾.

(١) المرجع السابق: 47/1.

(٢) الديوان: 72/1-75.

(٣) المرجع السابق: 101/1.

(٤) المرجع السابق: 206/2.

(٥) أنظر: حافظ إبراهيم شاعر النيل ، د. عبد الحميد سند الجندي ، ص 219-220

فضائل أخرى

هناك بعض الفضائل التي أوماً إليها حافظ إبراهيم بإشارات قليلة تجعلنا نجملها تحت هذا العنوان لقلتها وندرة ورودها في ديوانه بخلاف الفضائل التي تحدثنا عنها سابقاً.

ومن هذه الفضائل القناعة التي تحدث عنها حافظ من خلال حديثه عن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي كان يقنع بالقليل، بل إنه قد يجوع أحياناً، فهو الذي قال لزوجته عندما طلبت الحلوى: إن شهوات النفس جامحة بلا قيود، ولكن كسرة الخبز تؤدي نفس الغرض الذي تؤديه الحلوى فكلاهما يسد الجوع، وقد حثها على القناعة لأتأمن نفسي المتجمل بها⁽¹⁾:

جوعُ الخليفة - والدُّنيا بقبضتـه
لا تمتطى شهوات الرِّسِّ جامحـةً
قال: اذهبي واعلمي إن كنتِ جاهلةً
ويلى على عمرٍ يرضى بموفيـة

في الزُّهد منزلةٌ سبحان موليهـا
فكسرةُ الخبزِ عن حلواك تجزيها
أنَّ القناعةَ تغني نفسَ كاسيهـا
على الكفافِ وينهى مستزديهـا

كما أشار إلى التسامح ووصف كل من ترعرع للجمعية الخيرية الإسلامية بالسلام النفسي والتسامح⁽²⁾:

لم يدعُ مسماًحاً إلى
إنعاشها إلا أجابُ

وقد كان حافظ يتمتع بروح متسامح محبة للخير، فعلى رغم ما قاسى الشعب المصري من ظلم السلطان عبد الحميد⁽³⁾ إلا أنه يوصيهم به خيراً، ويطلب منهم عدم الاثقال عليه وظلمه⁽⁴⁾:

أكرموه، وراقبوا الله في الشيبـ
سخ، ولا ترهقوه بالهددـ

كما يطلب الصفح عن زلات بعض الزعماء التي بدت في ذلك الحين على رئاسة المفاوضات الرسمية⁽⁵⁾:

واصفحوا عن هنات من كان منكم
رُبَّ هافٍ هفا على غير عمدٍ

كما نجده يصف سليمان أباظة (1834-1897م) بالتسامح⁽⁶⁾:

(١) الديوان: 53/1-54.

(٢) المرجع السابق: 241/1.

(٣) السلطان عبد الحميد: (1842-1918م). ولي الملك في أغسطس سنة 1876م وخلع 1908/4/27م. هامش الديوان: 37/2.

(٤) الديوان: 38/2.

(٥) المرجع السابق: 81/2.

(٦) المرجع السابق: 122/2.

ومحمّـد نسجت له أكفـاً انه من عفـه، وسماحة، وإباء
وأشار في حديثه عن شكر النعمة إلى أبناء سليمان أباطة (1834-1897م) ووصفهم بعدما تم شفاء
أيهم بأنهم بين فخور بما من الله به عليهم من شفاء والدهم وبين شكور الله على نعمة الشفاء⁽¹⁾:
وبات بنوك الغر ما بين رافل بحلق يمين أو شكور لمولاه
ثم نجده يعترف بنعمة الله التي أنعم بها على الأراضي المصرية بوجود نه ر النيل الذي يفيض عليهم
بالخيرات⁽²⁾:

نيل يفيض على سهولك رحمةً وفتى يقيك غوائل العثرات
ويبدو أن حافظاً رجل متفائل لأنه ينظر إلى النصف الممتلئ من الكأس؛ فهو يطلب منا أن ننظر إلى
إيجابيات العام المنصرم، فإن مات فيه الألو ف فقد ولد وعاش فيه الملايين من البشر⁽³⁾:
وإن قيل أودى بالألو ف أجابهم 67 مجيباً: لقد أحيا الملايين فانظروا
وتحدث- أيضاً- عن البشر والترحاب واستقبال الضيوف بوجه بشوش ووصف أحدهم بذلك⁽⁴⁾:

وتمش إن لاقيتني وتخصني بالبشر في ناديك والتحاب
كما وصف زوجة عبدالحليم العلابي بالعفاف وصيانة النفس⁽⁵⁾:
لقد نسج العفاف لها رداءً وزان رداءها الخدر المصون

بهذا نكتفي ونقف بما عرض له حافظ في الفضائل التي ذكرها في شعره، وقد ذكرت معظم أبياته فيها،
والتي كان أكثر ما يميزها البساطة والوضوح، ويعود سبب هذه البساطة إلى أن حافظاً لم يكن صاحب
ثقافة عالية تساعد على تعميق رؤيته للأشياء، وتجعل لديه فلسفة خاصة تجاهها، فقد كان يذكر هذه
الفضائل في أثناء شعره ويشير إليها بشكل مباشر، ويكتفي بمعناها الإشاري الحرفي، فلم يحملها فلسفة
خاصة، ولم يوسع مفهومها إلا فيما ندر، ولم يتناولها من زوايا متعددة، إنما أكثر من وصف الأشخاص
بها بشكل مباشر، كما أن حافظاً في حديثه عن بعض الفضائل وقع في بعض التناقض، فقد حث الناس
على الصبر وهو لم يكن بالإنسان الصبور، ودعي إلى قوة العزيمة ولم يكن قوي الإرادة، وحث على

(1) الديوان: 20/1.

(2) المرجع السابق: 23/1.

(3) المرجع السابق: 32/2.

(4) المرجع السابق: 214/2.

(5) المرجع السابق: 223/2.

الشجاعة وهو لم يكن شجاعاً، ودعي إلى الإباء ولم يكن بالرجل الأبي، وقد ذكرت ما يدل على هذه التناقضات أثناء حديثي عن الطريقة التي تناول بها حافظ كل فضيلة من هذه الفضائل. والحقيقة أن حافظاً كان يقول الشعر كيفما اتفق؛ فلم يبتكر المعاني ولم يغص فيها بل إنه كان يمدح شخصيات، ويرثي أخرى دون أن يعرفها ويكتب عن أشياء لم يقرأها، ولم يطلع عليها لذلك كان من الطبيعي أن يأتي شعره بهذه البساطة.



المبحث الثاني

الردائيل

الردائل

الردائل هي الأخلاق الذميمة عند الناس، وهي بلا شك القسم الآخر من الأخلاق في شعر حافظ، ونظراً لأن كل مجتمع توجد فيه صفات وأخلاق حميدة وغير حميدة، فإن الحديث هنا منصب على هذا النوع المذموم، والذي به يكتمل الكلام عن الأخلاق في قسميها المتضادين. الرذيلة" هي السيئة الخبيثة المذمومة، والفعل المنكر، والخلق الفاسد المتصف بالشر. والعمل الذي لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية، والذي لا يتفق مع ما شرع الله أمراً ونهياً، وهي: الاعتقاد الفاسد، والإرادة الفاسدة وهي: المعصية والذنب والخطيئة"⁽¹⁾.

الرذيلة بهذا المفهوم هي ما حاربه حافظ في شعره، فمثلما تحدث في شعره عن الأخلاق الفاضلة ودع إلى التحلي بها، أيضاً تحدث عن جملة من الردائل التي أخذت بالانتشار في عصره، ولأنه من أصحاب الفطرة السليمة فقد فطن إلى الآثار السلبية لانتشار هذه الردائل في مجتمعنا المسلم المحافظ، فتحدث عنها وحذر منها، وهذا يدل على أنه شاعر من الشعب وإلى الشعب، يناقش قضاياها، ويتأثر بمشكلاته، ويتحدث بصوته، ويأمل أن يرتقى ويعيش حياة أفضل، وفي هذا المحث سنورد أبرز الخلال الرذيلة التي تحدث عنها حافظ إبراهيم في شعره.

(1) النظرية الخلقية عند ابن تيمية- د/ عبدالله عفيفي- ص 484- ط1-1408هـ-1988م- مركز الملك فيصل للبحوث

والدراسات الإسلامية - الرياض.

الظلم

"الظلم هو الانحراف عن العدالة، ولذلك حُذِّ بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص"⁽¹⁾، وذكر أبو بكر الجزائري إن الله حرم الظلم على نفسه حيث قال في حديث قدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"⁽²⁾. إذن هو من باب أولى أن يكون أشد تحريماً على الإنسان، فالمسلم لا يظلم ولا يُظلم لا يصدر عنه الظلم لأحد، ولا يقبل على نفسه الظلم من أي أحد. والظلم ثلاثة أنواع: ظلم العبد لربه، وذلك بالكفر والإشراك، وظلم العبد لغيره، وذلك بأذيتهم في إعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم بغير حق، وظلم العبد لنفسه وذلك بتلويثها بالذنوب⁽³⁾.

وفي ظل ظروف الحرب والاستعمار التي كانت تمر بها المنطقة العربية، تعرض الشعب العربي إلى كثير من الظلم على أيدي المحتلين، ومن تعرض لهجمات شرسة على أيدي هؤلاء الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) فقد كانت بعض الصحف المغرضة تنشر عنه الافتراءات والأكاذيب، وكان يرى حافظ إبراهيم أن ذلك من سمات الإنسان الناجح فلا بد أن يحاول أعدائه النيل منه⁽⁴⁾:

وتقولوا عنك القبيح وهكذا
بمخى الكريم بغارة الأشرار

ولم يتوقف حافظ عند ذكر الظلم الذي يتعرض له المصريون، وإنما تحدث عن الظلم الذي تتعرض له الإنسانية بشكل عام. فقد ذكر ما كان يتعرض له الفرنسيون على يد لويس بونابرت (1808-1873م)، فمن شدة خوفهم منه أوقفوا حتى عقولهم عن الإبداع، وهذا أكبر ظلم ممكن أن تتعرض له البشرية، لأن كبت العقول المبدعة يؤدي إلى تأخر الشعوب⁽⁵⁾:

طبعَ الظُّمُّ على أبقالها
بلظاهُ خاتماً من رهبٍ

وتحدث - أيضاً - عن الظلم الذي من الممكن أن يتعرض له الإنسان بعد موته فالفراغة ب رغم المنزلة العالية التي وصلوا إليها إلا أنهم بعد موتهم أصبحوا في موضع ذل وإهانة فقد أصبحت أجسادهم تعرض أمام الملائكة لتجنن من ورائها الأموال⁽⁶⁾:

(1) تعريفات الراغب الأصفهاني - د/عمر عبدالرحمن الساريسي - ص 70 - ط1 - 1425هـ - 2004م - عالم الكتب الحديث - إربد.

(2) رواه مسلم 132/15 في صحيحه بشرح النووي - ط2 - 1392هـ - 1972م - دار الفكر - بيروت.

(3) منهاج المسلم - أبو بكر الجزائري - ص 173-174.

(4) الديوان: 15/1.

(5) المرجع السابق: 21/1.

(6) المرجع السابق: 66/1.

أرى فدراعينَ مصرٍ
معروضَةً للبرايا
في ذلّةٍ ونح—وسِ
أجسادهم بالفل—وسِ
عنهم نبشنا زمـاناً
في مظلماتِ الدُّروسِ

كما أحس حافظ إحساساً عميقاً بمعاناة الشعب المصري، وذكر الظلم الذي كان يتعرض له المواطنون المصريون في بلدهم، حيث ضربت عليهم الذلة والمسكنة بينما الأجانب المقيمين فيها تكون لهم السيادة والعزة⁽¹⁾:

أتمشى به شمّ الأنوف عداته
وربُّ الحمى يمشي بأنفٍ مجدّع
ولم يغفل عن الظلم الذي كان يقع على أصحاب الفكر النير المطالبين بالحرية من قبل أوطانهم
وحكوماتهم⁽²⁾:

فكيفَ لعمري أطلقتَ المقام
بأرضٍ تضيقُ بأحرارها ؟
أشار- أيضاً- إلى الظلم الذي تشهده الأرض بسبب المجازر والحروب التي يقيمها الإنسان على
وجهها⁽³⁾:

ألبسوكِ الدّماء فوق الدماءِ
فالبستِ الرّجيعَ من عهد قاييـ
وأروركِ العداة بعدَ العداةِ
لـ وشاهدتِ مصرعَ الأبرياءِ
كما ذكر الظلم الذي تعرض له الشرق من المحتلين الذين يريدون له أن يظل في معزل عن العلم
والحضارة والتطور الذي يشهده العالم⁽⁴⁾:

وتقضى عليك قضاة الضلال
طوالَ الليالي بأن ترقدا ؟
ولم يكن الشعب يخلم من المحتلين فقط، بل كان يشترك معهم الوزراء المتآمرون الذين كانوا يستغلون
مناصبهم لجني الأموال التي هي في الأصل من حق الشعب ، فطريقه المحتلين هي الظلم والتنكيل بالشعب
والاستبداد به، وعلى الشعب أن يستعد للمقاومة وعدم الاستسلام⁽⁵⁾:

(١) الديوان: 87/1.

(٢) المرجع السابق: 119/1.

(٣) المرجع السابق: 193/1.

(٤) المرجع السابق: 202/1.

(٥) المرجع السابق: 205-204/1.

وأرى الوزارة تجتني
من مرّ هذا العيش شهداً
فسببيله أن يستبـ
سداً وشأننا أن نستعدداً

ويشير إلى المستعمرين الأجانب الذين يتمتعون بثروات البلاد ، بينما المصريون يعانون من الغلاء والمعيشة القاسية، حتى إنهم أصبحوا يفضلون الموت على الحياة، لأنهم لا يستطيعون أن يوفروا أقل شيء ممكن أن يوفره الإنسان وهو قوت يومه⁽¹⁾:

يردُّ الواغلُّ الغريبُ فيروى
وَأغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نَفْسًا
وبنوئُ الكرامُ تشكوا الأواما⁽²⁾
قد تمت مع الغلاء الحماما

ويرى حافظ أن الظلم قبل الاستعمار كان منتشرًا في مصر بشكل عشوائي وفوضوي ، وعندما جاء الاستعمار بدعوى تخليص الشعب من الظلم لم يزد على أنه جعله ظلمًا منظمًا وقانونيًا⁽³⁾:

لقد كان فينا الظلمُ فوضي فهذبت
حواشيه حتى باتَ ظلمًا منظمًا

كما يرى أنه على قدر الظلم والأذى الذي تصبه الحكومة على الشعب يكون صراخ الوطنيين والثائرين على الحكومة؛ خوفًا من وقوع المزيد من الظلم على الشعب، ويتمنى لو أن الظلم قد دام فيهم حتى يحرك غيرة الوطنيين، ويحثهم على المطالبة بالحرية والاستقلال ويتحدث عن صور الظلم والتعذيب التي كان الشعب المصري يتعرض لها على يد المحتلين من جلد وقتل وعدم اهتمام بالتعليم من أجل إبقاء الشعب على جهله وسداجيته⁽⁴⁾:

على قدر الأذى والظلمِ يعلو
رمانا صاحبُ القَوَّيرِ ظلمًا
فليت (كرومرًا) دام فينًا
ويتحفُ (مصر) أنا بعـدَ أنِ
رمى (دارَ المعارفِ) بالـررزايا
صياحُ المشفقين من المزيدِ !
بكفران العوارفِ والكنودِ
يطوِّقُ بالسلاسلِ كلَّ جيدِ
مجلودٍ ومقتـولِ شهيدِ
وجـاءَ بكلِّ جليلٍ عنيدِ

وهكذا سنتنتج أنه ليس هناك شر محض فحتى الظلم الذي يعد أسوأ ما في الوجود عاد بفائدة على أصحاب الضمائر الحية وجعلهم يثورون ويطالبون بحقوقهم.

(١) الديوان: 252/1-253.

(٢) الأواما: شدة العطش: هامش الديوان 252/1

(٣) الديوان: 19/2.

(٤) المرجع السابق: 26/2-27-28.

كما أن شعور حافظ الإنساني قد امتد إلى بلاد فارس ، وصور أنواع الظلم والعذاب والقتل الذي كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس⁽¹⁾:

ولا أقرىء (الشاه) السلام، فإنه يريق دماء المصلحين ويهدر

ومن الظلم الذي كان يتعرض له الشعب في مصر تقييد حرية الصحافة ، تبعاً لما يريده الحاكم وليس بما تقتضيه الديموقراطية⁽²⁾:

فتقيدت فيه الصحافة عنوةً ومشى الهوى بين الرعيِّ مطلقاً

كما ذكر صنوف العذاب والظلم الذي تعرض له الشعب الليبي على يد الإيطاليين ، فقد قتلوهم ومثلوا بهم ولم يفرقوا في ذلك بين النساء والأطفال والشيوخ وذوي العاهات فقد أحرقوا عليهم دورهم ولم يراعوا المواثيق الدولية⁽³⁾:

74

كبلوهم، قتلوهم، مثلوا—وا
ذبحوا الأشياخ والزمنى، ول—م
أحرقوا الدُّور، استحلوا كلَّ ما
بارك المطران في أعمالهم
بذوات الخدر، طاحوا باليتامى
يرحموا طفلاً، ولم يبقوا غلاماً
حرمت (لاهاي) في العهد احتراماً
فسلوه برك القوم ع—لام—أ؟

ويخاطب الإنجليز ويقول لهم أظلمونا وعذبونا مثلما يحلو لكم، واحجبوا عنا الحقيقة ، واقطعوا الأمل ، أحرمونا من الطعام والشراب فإننا سنبقى صامدين ثابتين على مبادئنا ، لا يزحزحنا عنها مزحزح ، ويتحدث عن صور العذاب والظلم الذي كان الإنجليز يصبونه على الشعب المصري من غارات وطائرات منتشرة تحمل قنابل الموت⁽⁴⁾.

فاحجبوا الشمسَ واحبسوا الروحَ علَّ
واستشفوا يقيننا رغم م—نا نل—
قد ملكتم فم السريِّ—ل علينا
وأتيتم بالحائم—ات ترامي
وملأتم جوانب الرئيل وع—داً
وامنعونا طعامنا والش—رابا
—قى فهل تلمحون فيه ارتيابا
وفتحتم لكل شع—واء بابدا
تحمل الموت جاثماً والخرابدا
ووعيداً ورحم—ةً وعذابا

من خلال الأمثلة السابقة من شعر حافظ إبراهيم عن الظلم نلاحظ أن حافظاً كان يتمتع بحس إنساني عال، فلم يقتصر تصويره للظلم على ما كان يقع على الشعب المصري من المحتلين، بل امتد ليصل إلى الشعوب التي تعاني من ظلم الحكام المستبدين مثل فرنسا، والتي تعاني الحرب والاستعمار مثل ليبيا ، كما أنه لم يقتصر في حديثه عن الظلم الذي يعانيه الشعب من الطغاة والمستعمرين ، بل اعتبر تشويه

(1) المرجع السابق: 33/2.

(2) الديوان: 49/2.

(3) المرجع السابق: 56/2.

(4) المرجع السابق: 201/2.

الصحف للحقائق ظلم، وتقريبي حرية الصحف ظلم، واستغلال بعض الوزراء المصريين لمناصبهم ظلم – أيضاً- ولقد ذكر حافظ الكثير من الأبيات عن الظلم ولكنها تدور في فلك الأمتلة التي أوردناها (1).

(1) للاستزادة انظر ا لديوان : (1/73-199-207)، (2/14-15-16-17-18-37-63-69-73-

78-80-92-93-95-96-97-101-105-110-140-146-147-152).

التواكل

التواكل هو العجز والكسل وقد ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أن المسلم لا يكسل ولا يعجز ، بل يعزم وينشط ويعمل ويحرص على إنجاز عمله على أكمل وجه ، فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيراً ما يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل".

وكيف يعجز المسلم ويتواكل ويقعد عن العمل وهو من يؤمن بنظام الأسباب وقانون سنن الكون ولما يكسل ل وهو يؤمن بدعوة الله إلى المسابقة (1) في قوله تعالى :

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾ (2)

وذكر الدكتور وهبة الزحيلي "أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم بضرورة الاعتماد على الذات والجهد الشخصي المستقل، وترك التواكل والاعتماد على جهود الآخرين أو مكاسبهم وأعمالهم، وذلك لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "لأن يأخذ أحدكم أحبله، ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه". فهذا الحديث فيه حث على العمل وتحصيل الرزق وفيه ضرورة إجهاد النفس في تحصيل الرزق الحلال الطيب المبارك فيه (3).

وحذر حافظ إبراهيم من داء التواكل الذي ران زمناً على الأمة العربية، ولم يكن في المجال السياسي فقط، بل إنه طال الشعر فلم يحدثوا فيه أي جديد، وضلوا يرددون ما قاله القدماء دون تجديد، ولم يكن من المتوقع أن يتواكلوا حتى في الشعر؛ وهو الفن الذي برع فيه العرب، فكل الشعوب تعمل باجتهاد أثناء الرخاء، لكي يكون لديها عدة وذخيرة تحتمل بها إذ حلت بهم الحوادث والمصائب ، إلا العرب فهم لا يملون من ذكر مفاخرهم ومآثرهم وأمجادهم القديمة، ولا يعملون للمستقبل بل يتكلمون على ما فعله العرب سابقاً، ولأن الشرق اعتاد على إنجازات أبنائه فإنه يصعب عليه أن يرى أبنائه متواكلين غير بارزين في المجتمع (4):

وأقوامنا في الشرق قد طلل نومهم
وما كان نوم الشرع بالمتوقع
لدى كل شعب في الحوادث عذّة
وعدتنا ندب التأت المضيّع

(1) منهاج المسلم - أبو بكر الجزائري - ص 179 (بتصرف).

(2) سورة الحديد 21.

(3) أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق - ص 185.

(4) الديوان: 86/1-87.

عزيزٌ عليه ما بنى الشرِّقَ أن ترى
وأعلامه من فوقه غير خفِّق
كواكبه في أفقه غيرَ طلِّع
وأقلامه من تحتها غير شرِّع

ويتمنى أن يرى الشرق كله غير غافل عن طمع الغرب في استغلال ثرواته ، فهو يريد من العرب أن يستيقظوا من غفلتهم، ويكفوا عن تواكلهم واتكاهم على الأجانب المستعمرين لحل مشكلاتهم وتحسين أوضاعهم⁽¹⁾:

متى أرى الشرِّقَ أدناه وأبعده
عن مطمع الغرب فيه غيرَ وسانٍ

فالمستعمر لا يهمله الشعب فكل ما يهمله الاستفادة من ثروات البلاد.

ويشير إلى ما تتميز به الأمم الغربية من العلم الجم والعمل الدؤوب حتى إنهم جعلوا من الصخور في رؤس الجبال أماكن مخضرة تزدهي فيها ألوان النباتات المختلفة على عكس الأمة العربية وما عرفت به من تواكل وكسل فقد جعلوا الأراضي الزراعية الخصبة أراضي مقفرة مجردة من النباتات⁽²⁾:

نضروا الصخر في رعوس الرِّواسى
ولدينا في م—وطن الخصب بورُ

قد وقفنا عند القديم وس—اروا
حيثُ تسرى إلى الكمال البدورُ

ويعتب الشاعر على أمته لخضوعها وسكوتها على سلب حقوقها وعلى الظلم الذي تعرضت له مصر والبلاد العربية على أيدي المستعمرين، ويحث الشعب المصري على الاجتهاد، وترك التواكل لأن الغريب الأجنبي يبذل قصارى جهده في مصر ليصل إلى أعلى المراتب ، بينما المصري يكون أشد شراً على البلاد من الأجنبي إذا تواكل وغفل عن مصلحة البلاد ، لأنه يكون بذلك فتح المجال للأجنبي أن يمسك بزمام الأمور، ويستنكر وجود الشباب في الأزرابية حيث الملاهي الليلية والمراقص التي تمارس فيها الرذيلة ، فقد نجح الإنجليز في دفع الشباب إلى الانغماس في الملذات واللهو وشرب الخمر ، فانشغلوا بذلك عن أمور الحكم والسياسة، فكانت فوصة سانحة للأجانب أن يجردوا في العمل ، والكسب فكان من الطبيعي أن يصلوا إلى مراتب عالية في الدولة، وأن يتأخر المصريون لأنهم آثروا الخمول والكسل والتواكل والقعود عن كسب الرزق⁽³⁾:

لسلب الحقوق ولم نغضبِ

مجدُّ بمصرَ فلا تلـعـبـي

وللشَّءِ شرُّ من الأجنبي

وكم غضب الناسُ من قبلنا

أنابتَه العـصـرُ إن الغريب

يقولون : في الشَّءِ خيرٌ لنا

(١) الديوان: 94/1.

(٢) المرجع السابق: 180/1.

(٣) المرجع السابق: 197/1-198.

أفى (الأزبكية) مشوى البدنين
 أمورٌ تمرُّ وعيشٌ يمـرّ
 ومـا إذا عليه إذا فاتنـا
 ألفنا الخـمـولَ ويا ليتنـا
 وبين المساجد مشوى الأب؟
 ونحن من اللّهـو في ملعب
 ونحن على العيش لهم ندأب
 ألفنا الخمولَ ولم نكـذب

ويرى أنه لولا التخاذل والتواكل المسيطر على الأمة لظهر منها أناس موهوبون ، فالموهبة والذكاء موجودان، غير أن أصحابها خاملون عن صقلها، فالعرب يمتلكون عقولاً مبدعة لولا أنهم جعلوا الخمول سلطاناً عليها، ويتمنى أن تكتشف آلة للقضاء على التواكل والكسل عند العرب ، ويعيب عليهم اتكالهم على المجد التليد الذي خلفه الآباء والأجداد ، وعدم محاولتهم إحداث تغير في حاضرهم⁽¹⁾:

إن فينا لولا العخاذلُ أبطـا
 وعقولاً لولا الخـمـولُ تـولـا
 كاشفَ الكهـرباء ليتـك تعنى
 آلة تسحق التواكل في الشر
 قد مللنا وقوفنا فيه نكبـى
 وسئمنا مقالمهم كان زيـدٌ
 لآ إذا ماهم استقؤلوا اليراعـا
 ها لفاضت غرابةً وابتداعـا
 باختراعِ يروضُ من الطّـباعـا
 ق وتلقى عن الريا القناعـا
 حسباً زائلاً ومـجداً مضاعـا
 عبـقرياً وكان عمروٌ شجاعـا

ويشير إلى أحد السلاطين في مراكش أنه كان منغمساً في اللهو والملذات ولم يتذكر إخوانه العرب إلا عندما أضع بلادهم وأصبحت الحرب على الأبواب⁽²⁾:

ذكَرتنا يومَ ضاعت أرضُ أندلسِ
 الحربُ في البابِ والسُّرطانُ في اللَّعبِ

كما يشير إلى أن الأمة العربية عندما كانت في قمة الخطر وكان أعداؤها يستهدفونها ويحاولون التربص بها كانت تضرب بكل ذلك عرض الحائط وتنغمس في اللهو والملذات⁽³⁾:

وهي- والأحداثُ تستهدفها-
 لا تبالى لعبَ القومِ بهـا
 تعشق اللّهـوَ وتهوى الطربـا
 أم بها صرفُ الليالى لعبـا؟

ولم تكن الأمة العربية تهتم إن كانت الحوادث التي تصيبها والنكبات التي تنزل بها هي من المحتل العين أو من صروف الدهر وذلك لأنها أمة متواكلة خاملة.

(١) الديوان: 200/1-201.

(٢) المرجع السابق: 1/2.

(٣) المرجع السابق: 2/2.

كما نراه يخاطب الإنجليز ويقولهم كيف يحلوا لكم أن تتشفوا فينا ونحن ضعفاء سلمناكم أنفسنا وانقدنا لكم، وكيف تنكلون بنا، وتكشفون عن غيظكم وعدائكم لنا، ونحن لسنا أنداداً لكم، ويطلب منهم أن يكرمهم في بلادهم ؛ فالخمس والعشرين عاماً التي استعمرت فيها بريطانيا مصر قد علمت المصريين الخنوع والسكوت مهما فعل المستعمر وتمادى فالأمة المصرية استثقلت أن تعادي من رماها في عقر دارها وخشيت أن تتخذه عدواً⁽¹⁾:

كيف يجلو من القوى الشفّى	من ضعيفٍ ألقى إليه القيادا ؟
إنّها مثله تشفُّ عن الغي —	78 — ظِ ولسنا لغيظكم أندادا
أكرمونا بأرضنا حيثُ كنتم	إنما يكـرمُ الجوادُ الجوادا
إنَّ عشرينَ حجّةً بعد خمسٍ	علمتُنا السكـونَ مهما تمادى
أمّةُ الرئيلِ أكبرت أن تعـادى	من رماها وأشفتت أن تعـادى
ليس فيها إلا كـلامٌ، وإلا	حسرةٌ بعد حسرةٍ تتهـادى

وهذا أحط درجات الخنوع والتواكل ؛ فطوال فترة الاستعمار لم يكن من المصريين إلا مجرد الكلام والتحسر على واقع حياتهم والشاعر بهذه الأبيات وصل إلى أقصى درجات الخنوع والتواكل. ويطلب حافظ من أبناء مصر ترك التخاذل والتواكل، لأن أسوأ أمر يمكن أن يصاب به الإنسان هو التخاذل، ويرى أن المصريين ليسوا أصحاب طموح، رغم أنهم يمتلكون الكثير من الذكاء ولكنهم شعب متواكل لا يخطط للمستقبل⁽²⁾:

ودعوا التخاذلَ في الأمور، فإنم	شبحُ التخاذلِ أنكرُ الأشـباح
وابنُ الكنانةِ في الكنانةِ رائدٌ	يرنو بعينٍ غيرِ ذات طماح
لا يستغلُّ — كما علمت — ذكاه	وذاكـاؤه كالحافظِ اللـمّاح

كما أنه يصف الشعب المصري بأنه متواكل كسول لا يفخر إلا بالألقاب ولم يجتهد ويواظب إلا على اللهو واللعب فهو يريد أن يرى نصف مخترع أو ربع عالم محتسب قادر على حسن التصرف والتدبير ولكن في مصر لا يوجد إلا المتواكلين المنغمسين في اللهو المهتمين بصغائر الأمور ويدعو المصريين إلى أن يتركوا التواكل والكسل والغفلة فالوقت قد أزف وهم مازالوا في غفلتهم⁽³⁾:

وهل (في مصر) مفخرةٌ
سوى الألقاب والرُتبِ ؟

(١) الديوان: 15/2.

(٢) المرجع السابق: 91-89/2.

(٣) المرجع السابق: 98-97/2.

وذي إرثٍ يكـاثرنا
وفي الرومي موعظةً
أروني نصـفَ مخترعٍ
فهبوا من مراقدكم
بمالٍ غيـرٍ مكتسب
لشعبٍ جدِّ في اللعب
أروني ربـعَ محتسبٍ؟
فإن الوقتَ من ذهـب

ويشير إلى أن المصريين قد غفلوا وتواكلوا فترة من الزمان ولم يستيقظوا من غفلتهم إلا عندما اقتربت النهاية فالتواكل آفة تغيب الإنسان عن حاضره وتجعله عديم الفائدة⁽¹⁾:

قد غفونا وانتهبنا فإذا
آفة المرء إذا المرء وني
نحـن غرقى، وإذا الموتُ أممٌ
آفة الشعب إذا الشعبُ انقسم
ليس منا من يني أو ينثني
79 أو يعـق النيلَ في رعى النعم

من خلال الأمثلة السابقة من شعر حافظ إبراهيم في التواكل نلاحظ أنه تحدث عن خنوع العرب وعدم مواجهتهم للمحتلين، والقعود عن التطور والتخلف في ميدان الصناعة والتخلف، حتى عن قول الشعر بسغم نبوغ العرب فيه. وقد أسرف حافظ في اتهام العرب بالتواكل، على الرغم أنه وصل إلى قمة الخنوع والتواكل في القصيدة التي تحدث فيها عن حادثة دنشواي⁽²⁾. وقد أوردنا جزء منها في الأمثلة السابقة - ففي رأيي - أنه فقد كرامته وإبائه في هذه الأبيات، ووقع في تناقض كبير فكيف يطلب من الشعب ترك التواكل ومواجهة المستعمر، وهو يخاطب المحتلين بهذه اللغة الخائفة المتواكفة، كيف يطلب من الإنجليز أن يكرمهم في أرضهم وهم أصحاب الأرض، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فالحرية والكرامة سلبت منهم بالقوة ويجب عليهم أن يستردوها بالقوة والمقاومة، وأن يتعاملوا مع الإنجليز بنديه وإن كانوا أقل منهم عدة وعتاداً. فللمجهول بحاجة إلى القصاص الثورية التي تهمسه وتدفعه إلى الإقدام ببسالة، وهذه الأبيات تضعف العزيمة وتدعو إلى اليأس. ولكن الدكتور شكري محمد عياد رأى في هذا النوع من القصائد عند حافظ رأياً آخر فهي عنده قصائد ذات أسلوب تمكّم لا يخلو من بعض التحمل: "لأن فيها غضباً مكظوماً، وكأن الشاعر يرى أن التصريح بسوء الحالة والإقرار بالعجز عن

(1) قصائد لم تنشر: 254.

(2) في يوم الأربعاء الموافق 13/6/1906م، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم، وقصدوا إلى بلدة دنشواي من أعمال مركز تلا بمديرية المنوفية، لصيد الحمام، وهناك أصيب بعض الأهليين فاصطدموا بالإنجليز؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت، فثارت ثائرة (اللورد) كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذلك، وعقدت المحكمة المختصة لمحاكمتهم، وكان المدعي العمومي فيها إبراهيم الهلباوي بيك الحمامي المعروف؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهليين، وجلد وحبس ثمانية منهم. ونفذ الإعدام والجلد في نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله، وك ان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفاس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسى وحسرة. هامش الديوان: (14/2).

الرد أدنى إلى الكرامة من صياح لا يجدى . ولكن الأجدر بالملاحظة هو أن ما تصرح به هذه القصائد لا يمثل حقيقة ما في نفس الشاعر، وإنما هو أشبه بقناع وضعه على وجهه الغاضب الثائر، لتصل رسالته في أقوى صورة إلى قرائه وسامعيه، وهؤلاء فريقان: مصريون إن خصصت، أو عرب إن عممت؛ وإنجليز تجاه المصريين، أو أوروبيون تجاه العرب. أما الفريق الأول فشأن حافظ معه، في معظم أحواله، أنه يريد أن يبيكه ويدميه كما عرفت، فلا بأس بأن يبالغ في إظهار ضعفه واستكائه ليثير نخوته. وأما الفريق الثاني - ولا شك أنه كان منهم عارفون بالعربية يقرأون كل ما تنشره الصحف المصرية عنهم، وآخرون يترجم لهم كل ما ينشر بالعربية- فأى شيء أنكى فيهم وهم يزعمون أنهم رسل المدنية، وحماة العدل، من إظهار ظلمهم في أحسن صورة! صورة العدوان على الضعيف العاجز، اغتراراً بما لديهم من قوة؟ ومن هنا يأتي التهكم، فقد مسخ الشاعر قوتهم المادية فبدت كأشبع درجات الضعف الخلقى"⁽¹⁾.

أنا لا أنكر أن رأي الدكتور شكري عياد فيه بعض الصحة إلا أن هذا الأسلوب التهكمي لا يناسب الحالة النفسية التي كان يعيشها الشعب المصري في تلك الفترة - وكما قلت سابقاً- هو بحاجة إلى من يدفعه إلى الأمام وليس من يدعوه إلى الاستسلام، وخاصة إن شعر حافظ يلقي في المناسبات التي يحتشد فيها الجمهور وهو في حالة تعطش نفسي وبجاجة إلى الدعم المعنوي. كما أن هذا المعنى التهكمي لا يصل الجمهور الذي يسمع القصيدة وهي تلقى فالذي يصل للذهن في هذه الحالة المعنى الظاهري للأبيات فحتى المتلقي القارئ للأبيات لا يصله هذا المعنى التهكمي الخفي إلا بعد إعمال الفكر ومعاودة النظر مراراً وتكراراً في الأبيات.

(1) قراءة أسلوبية لشعر حافظ- فصول- ص 25- المجلد الثالث- العدد الثاني - يناير فبراير - مارس- 1983م.

الغدر

يقال: "غدر به غدراً: من باب ضرب نقض عهده" (1). وقد ذكر الدكتور عبداللطيف محمد العبد أن

الله أمر بالوفاء بالعهود والعقود لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (2)

ومن هنا كان الغدر نقضاً للعهود لذلك جاء التشديد عليه ، كما أن للغدر آثاراً سيئة تظهر على صاحبه يوم القيامة حيث يعلن عن الغادر، ويشهر به بين الخلائق لقوله صلى الله عليه وسلم: "لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان". والغادر محروم من رحمة الله ورضوانه. كما أنه منبوذ ومكروه اجتماعياً (3).

وأشار حافظ إبراهيم في حديثه عن الغدر إلى بعض أبناء مصر الذين أحسنت إليهم وبرت بهم ثم كان جزاؤها الخيانة والجحود (4):

أنت أنبت ذلك الرّيتَ يا (مصر) —————
رُ فأضحى عليك شوكةً قتادا

أنت أنبت ناعقاً قام بالأمر —————
س فأدمى القلوب والأكبادا.

ويخاطب الإنجليز ويقول لهم جعلتم مناصب صناعة القرار بأيديكم فأصبحتم تفنونون في إذلال الشعب المصري وأنتم بذلك خنتم كل عهودكم ووعودكم (5):

وحاولت إعطاء الغريب مكانةً —————
تدجّر علينا الوهيلَ والذلّ سـرمدا

كما يشير إلى أن نقض الإنجليز للعهود وخيانتهم المواثيق التي أبرموها هي التي أضاعت حقوق الشعب المصري (6):

ولكرأ نطالبكم بحـق —————
أضـرّ بأهله نقضُ العهودِ

ويصف الإيطاليين بالغدر والخيانة ونقض العهود وعدم رعاية الحقوق وعدم احترام حرمة دم الإنسان فقد كانوا طغاة جبارين ولكنهم مع ذلك وجدوا مقاومة شرسة من الليبيين (7):

تلك عقبى أمةٍ غـادرةٍ —————
تنكثُ العهدَ ولا ترعى الذمّامـا

(1) المصباح المنير- أحمد بن محمد الفيومي المقرئ (غدر)- 1987م- مكتبة - لبنان- بيروت.

(2) المائة، آية 1.

(3) الأخلاق في الإسلام : 274-275.

(4) الديوان : 16/2

(5) المرجع السابق: 24/2.

(6) المرجع السابق: 27/2.

(7) المرجع السابق: 58/2.

تلك عقي كـل جبار طغى
أو تعالى أو عن الحق تعامى
ويخاطب الإنجليز بقوله كنا نظنكم في السابق مخادعين غادرين ولكننا اليوم متيقنون من غدركم
وحياتكم⁽¹⁾:

بألا قد لمسنا الغدر لمسا
وأصبح ظننا فيكم يقيناً؟
تحدث حافظ إبراهيم من خلال الأبيات السابقة عن الخيانة بعض أبناء مصر لبلدهم وعن الغدر
والخيانة التي تعرض لها الشعب المصري والشعوب العربية بشكل عام من دول الاحتلال ، وأن خيانة هذه
العهود والمواثيق قد دفعت الشعوب العربية ثمنها غالباً من حريتها واستقرارها.

(1) الديوان: 93/2.

الكذب

"يراد بالكذب ما كان على خلاف مخبره، حتى وإن كان صاحبه غير متعمد لذلك ، ومن الكذب البهتان، وهو الكذب على الناس بما ليس فيهم، والكذب على أي شخص حرام سواء كان هذا الشخص مسلماً أو كافراً برأ أو فاجراً"⁽¹⁾.

قال الله سبحانه وتعالى عن الكذابين : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ⁽²⁾.

وذكر الدكتور محمد عفيفي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أباح الكذب في حالات خاصة وهي في إصلاح ذات البين وفي الحرب وفي حديث الرجل لامرأته⁽³⁾.
قال الأحنف بن قيس: "اثنان لا يجتمعان أبداً في البشر: الكذب والمروءة"، وقال علي بن عبيدة: "الكذب شعار الخيانة وتحريف العلم وخواطر الزور واعوجاج التركيب"⁽⁴⁾.

وفي زمن كثر فيه الكذب خاصة على الصعيد السياسي احتاج الناس لمعرفة الحقيقة لذلك قام محمد المويلحي (1858-1930م) بكتابة كتابه حديث عيسى بن هشام وقد طلب منه حافظ أن يسرع في طرحه، لأن الناس قد كثر بينهم الكذب والخداع وهم بحاجة إلى من يوعيههم⁽⁵⁾.
وابعث لنا (عيسى) فهذا وقته
فالناسُ بينَ مخادعٍ ومُؤاري
ويشير إلى أن هناك جرائم لم تنشأ إلا من أجل التفريق بين أفراد الأمة الواحدة وتضليلهم وخداعهم بالكاذب⁽⁶⁾:

جرائم ماخـطـ حـرفـ بهـا
لغـيرـ تـفـرـيقـ وتـضـليل
يـجـلـو بهـا الكـذبـ لأربابـهـا
كأنهـا أولـ إبريـل

فهذه الجرائم لا تنشر سوى الأكاذيب والأباطيل لأصحابها المخادعين.

(1) النظرية الخلقية عند ابن تيمية - د/ محمد عبدالله عفيفي - ص 518.

(2) النحل: 105

(3) النظرية الخلقية عند ابن تيمية - ص 519 (بتصرف).

(4) آداب المجتمع في الإسلام - محمد جمال الدين رفعت - ص 220 عن بطبعه ونشره عبدالله إبراهيم

الأنصاري - طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي - دولة قطر.

(5) الديوان: 103/1.

(6) المرجع السابق: 110/1.

كما يشير إلى بعض الكتاب الانتهازيين معدومي الضمير، الذين يعمدون إلى الحقيقة فيزيدون عليها بعض الأكاذيب والأقاويل العارية عن الصحة بقصد التضليل والتمويه وخداع الناس بأخبار

مضللة وخاطئة⁽¹⁾:

من ظلمة التمويه ألف نطاق

فيردُّها سودا على جنباثهم

ويتهم الإنجليز بالكذب والخداع إذ يقول⁽²⁾:

أقوالهم تدرى بغير رياح

وتأنقوا في الخلف حتى أصبحت

كما أنه وصفهم بالكذب والخداع فقد أضمرُوا في نفوسهم الكره والاستغلال وأظهروا الحب والود والمساعدة⁽³⁾:

84

وأبنت ودد الصاحب

أخفيت ما أضمرته

ويرى حافظ أن الصحف التي ظهرت في فترة الاستعمار لم تكن تحوي سوى التمويه والأخبار الكاذبة⁽⁴⁾:

سوى القويِّه والكذب؟

ماذا في صحائفكم

من خلال حديث حافظ إبراهيم عن الكذب في الأبيات السابقة انتقد السياسة البريطانية وما كانت تطبقه في مصر فقد كانت سياستهم الكذب على الشعب واستغلال جهله من خلال الصحف التي تعمل لصالحهم ومن خلال كتاب معدومي الضمير رضوا أن يكونوا أداة طيعة في أيدي المحتلين.

(١) الديوان: 221/1.

(٢) المرجع السابق: 87/2.

(٣) المرجع السابق: 96/2.

(٤) المرجع السابق: 98/2.

البخل

" البخل: هو المنع من مال نفسه، وقيل: البخل ترك الإيثار عند الحاجة . قال حكيم: البخل محو صفات الإنسانية وإثبات عادات الحيوانية"⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ ﴿٩﴾ ﴾⁽²⁾.

وعلق الدكتور وهبة الزحيلي على هذه الآيات بقوله: إن الإنسان إذا استغنى عن ربه فلم يرغب إليه بعمل الطاعات واستغنى بماله عن كسب الفضيلة يوفقه الله إلى العسر والضيق . فالبخيل مذموم عند الله والناس، والبخل نقيصة وعيب ورذيلة، وكذلك يلحق الضرر بالنفس وبالغير وبالجموع ويسيء لصاحبه إساءة بالغة، ويستطيع البخيل أن يتخلص من البخل بترويض نفسه على السخاء والإنفاق تدريجياً، فيعطي القليل أولاً ثم يتدرج إلى الكثير بخطوات متوالية أو متباعدة⁽³⁾. ولأن البخل صفة ممقوتة اجتماعياً وغالبا ما يكون المتصفون به مادة للتفكك والتندر بين الناس فقد تناول حافظ إبراهيم هذه الصفة بروح الدعابة والفكاهة التي عرف بها فنجدته يشير إلى شيلوك وهي إحدى شخصيات شكسبير التي جسد فيها البخل في أدق تفاصيله⁽⁴⁾.

ومثل في (شيلوك) للبخل سحنةً عليها غبارُ الهون والوجه أقتمُ

كما يصف أحد أصدقائه بالبخل والتقتير فهو لا يصرف الفلوس إلا إذا كان ليس لديه خيار إلا صرفه فمن شدة بخله لو كان بإمكانه العيش دون أن يتألم من الجوع لاختار أن يسد مدخل الطعام ومخرجه حتى يتقى الإنفاق والشراء⁽⁵⁾:

وأقـامَ دينَ عبادة الـ	دينار بين الأظهـ
ولقد عجبتُ لبخـلـه	ولكفه المتحجـ
لا يصرفُ السُّحـتُوتَ إلا	وهو غيـرُ مخـيرِ
لو أن في إمكـانه	عيشاً بغيـرِ تضرـ
لاختارَ سـدَّ الفتحتيـ	ن وقال: يا جيبُ احـذرِ

(١) كتاب التعريفات للجرجاني - ص 102.

(٢) سورة الليل: 8-11.

(٣) أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق - ص 190.

(٤) الديوان: 37/1.

(٥) المرجع السابق: 143/1-144.

كما قلت سابقاً روح حافظ إبراهيم المرحه هي الطاغية في حديثه عن البخل فقد تحدث عنه على سبيل
الدعابة والفكاهة. وقد كان من الصواب تناول البخل بهذه الطريقة المرحه لأنه رذيلة اجتماعية أخذت
طابع التندر والفكاهة منذُ كتاب البخلاء للجاحظ وحتى يومنا هذا.

مذمومات أخرى

أوماً حافظ إبراهيم بإشارات قليلة لبعض الصفات الذميمة مما يجعلنا نجملها تحت هذا العنوان. فقد أشار إلى تطبيق الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) لأحكام الدين في الإفتاء وبذلك محاً كل البدع والضلالات التي ليست من الدين في شيء⁽¹⁾:

محوته به في الدين كل ضلالةٍ وأثبت ما أثبت غير مزلل

وأشار أيضاً إلى ما أحدثه الناس من بدع في الدين ليست موجودة في أصله والدين منها برئ فهم يطوفون بالقبور ويعكفون عليها مثلما كان يعكف الناس على الأصنام في الجاهلية ويطلب من الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) أن يطلع على تلك الأفعال ويحاول توعية الغاوين من الناس⁽²⁾:

رأوا في قبور الميتين حياتهم فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كأنهم "على صنم للجاهلي عكف"
فأشرق على تلك الرؤوس لعلها ترق إذا أشرقت فيها وتلطف

كما أشار إلى إنكار عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - للبدع والضلال وإقامته للدين الصحيح وذلك عندما أصبح الناس يصلون عند شجرة الرضوان ويطوفون بها وهي الشجرة التي تحتها بايع الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية⁽³⁾:

أزلتها حين غالوا في الطواف بها وكان تطوافهم للدين تشويها

وأنكر حافظ ما يحدث عند قبور الأولياء والصالحين من بدع فقد أصبح الناس يقيمون عندها الصلوات وينحرون النذر ويقرؤون القرآن وهذه كلها أفعال ليس لها أصل في الدين⁽⁴⁾:

من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات

وتحدث عن الحقد من خلال قصيدة خنجر ماكبث التي ترجمها عن شكسبير وقد أشار إليها بقوله⁽⁵⁾:

أراني في (ماكبث) للحقد صورة تكاد بها أحشاؤه تتضرم

ويشير إلى ما حدث مع أحد ملوك الغساسنة في الشام عندما اعتنق الإسلام فبينما هو يوماً يطوف بالكعبة وطيء إعرابي ثوبه فضرب الإعرابي ضربة قوية على أنفه فتهشم فشكاه الإعرابي إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأمر بأن يقتص منه فرفض، وفر إلى القسطنطينية وتنصر⁽⁶⁾:

(١) الديوان: 3/1.

(٢) المرجع السابق: 10/1.

(٣) المرجع السابق: 57/1.

(٤) المرجع السابق: 253/1.

(٥) المرجع السابق: 37/1.

(٦) المرجع السابق: 44/1.

وفي حديث فتى غسّرًا موعظةً لكلّ ذي نعرةٍ يأبى تناسيها

وهو بذلك يكون ترك الدين الذي يعلم علم اليقين أنه الحق من عند الله إلى دين آخر قد نسخ فأضاع آخرته من أجل عصبية قبيلة نتنه.

كما يشير إلى من نادوا بفسخ زواج أحد الشيوخ من ابنة أحد سادة مصر بدعوى أن الشيخ ليس شريف النسب، وبذلك يكون هناك عدم تكافؤ في النسب بين الشيخ وزوجته⁽¹⁾:

ونادى رجالٌ بإسقاطه وقالوا: تلوّن في المشرب

ويصف أحد الشعراء ضعفاء الشاعرية بالغرور والتكبر⁽²⁾:

يحتال بين الناس متئد الخطأ ريحُ الغرور تهبُّ من أردانه

كما يتحدث على لسان أحد المتصوفين وهو يتغزل في غلام تركي كان يعشقه فقد جعله قبلته وإمامه وطيبه الذي يشفيه من عله، فهو يقول أسألوا سبحتي هل كنت استعملها في غير ذكرك اسم شكيب. كما أنه أمر الرياح أن تطيع شكيب في أمره لتأتى به إليه سريعاً ويقصد أنه وفر له كل وسائل الإسراع في العودة وهو بذلك جعل لنفسه ومعشوقه خاصية من خصائص الله لأن الرياح لا تجري إلا بأمر الله سبحانه وتعالى⁽³⁾:

هو ذلك — رى وقلبي وإمامي وطبي — بي إذا دعوتُ الطيبا

فسلوا سبحتي، فهل كان تسيي — حتى فيها إلا (شكيباً شكيباً)؟

وأمرنا الرياحَ تج — رى بأمرٍ منك حتى نراك من — اقربا

ويشير إلى الشباب الذين ينفقون أموالهم في اللهو والمجون⁽⁴⁾:

كم وارثٍ غضُّ الشربابِ رميته بغرامٍ راقصةٍ وحبُّ هـ لوك

ألبسته الثوبين في حاله — ما تيه الغنى وذقُّ المفلوك

كما يشير إلى تحقير الإنجليز للمصريين فقد عملوا على إعزاز الجماد وإذلال الإنسان فاعلوا الطين وأرخصوا الدماء⁽⁵⁾:

عملتم على عزِّ الجمادِ وذلنا فأغليتم طيناً وأرخصتم دما

(١) الديوان: 198/1.

(٢) المرجع السابق: 60/1.

(٣) المرجع السابق: 111/1-112.

(٤) المرجع السابق: 250/1.

(٥) المرجع السابق: 20/2.

حديث حافظ إبراهيم عن الرذائل التي كانت منتشرة في مصر رسم لنا صورة واضحة للحياة المصرية في عصره، فقد كان ينظر للمجتمع بعين الناقد، ولعل ما نرى عنده هذا الإحساس النقدي هي السرعة الكبيرة التي كانت تتغير بها البلاد. فقد جاء الاستعمار وجلب معه عوامل كثيرة أسهمت في تغير ملامح المجتمع المصري مما جعل الشاعر يدون كل ما تراه العين ولكن دون أن يحمله أي رؤية خاصة أو أي فلسفة تجعل له طابعاً خاصاً.

والجدير بالذكر أن ما تناوله حافظ في مبحث الرذائل ينطبق تماماً مع ما جاء به في عمله الثري ليالي سطيح وهو عبارة عن سبع ليالي يدور فيها حواراً عن الراوي وشخص معه وسطيح الحكيم الناصح المتكهن بالأخبار والأحوال. ومن خلال هذا الحوار يطرح حافظ آراءه حول الأوضاع السياسية والاجتماعية وحتى الأدبية فيذكر الظلم الذي يتعرض له الشعب المصري على أيدي المحتلين وانتشار الصحف المأجورة وكبت حرية الكتاب والمثقفين كما اتهم الشعب المصري بأنه شعب متواكل ومكسال وعاب على المصريين انصرفهم إلى اللهو والملذات وانتشار الفساد الأخلاقي بينهم. ولقد اختلف النقاد حول هذا العمل فمنهم من أدخله في المقامة، ومنهم من أدخله في القصة ومن خلال قراءتي له وجدت أن أسلوبه أقرب إلى المقامة، وإن كان يفتقد لبعض أهم خصائصها وهي أن المقامة عمل قائم على الكدّي والاستجداء والبطل المحتال، كما أنها عمل متصل بالأحداث، ويتميز بروح الفكاهة والمرح، بينما ليالي سطيح لم يرقم على الكدّي والاستجداء، ويفتقد لهذا البطل المحتال كما أنه عمل متصل منفصل فهو متصل لأن الراوي وسطيح شخصيات ثابتة. بينما الشخصية الثالثة متغيرة، كما أن مواضيع الحوار تختلف كل ليلة عما قبلها ويغلب على ليالي سطيح الطابع التراجيدي الجدّي.



الفصل الثاني

الدراسة الفنية



مفهوم الصورة الفنية ووظائفها

الصورة هي أبرز سمات الشعر، وهي وسيلة الشاعر للتعبير عما يدور في مخيلته، ومن خلالها يستطيع الشاعر أن يجعل المستحيل ممكناً. وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال بقوله "الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة، في معناها الجزئي والكلبي"⁽¹⁾.

فالصورة بالمفهوم الفني تعني: "أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن"⁽²⁾. لأن هذه "الصورة التعبيرية الإيحائية أقوى فنياً من الصور الوصفية المباشرة، إذ أن للإيحاء فضلاً لا ينكر على التصريح"⁽³⁾ "فقوة الشعر تقوم أساساً على الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا التصريح بالأفكار مجردة، ولا في المبالغة في وصفها. ومن هنا كان على الشاعر ألا يقتصر في شعره على الوقوف عند التشابه الحسي بين الأشياء دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر لدى نقل تجربته"⁽⁴⁾.

ويقول الدكتور عز الدين إسماعيل: "الصورة الفنية تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"⁽⁵⁾.

وهذا يعني أن الصورة الفنية تعتمد على الخيال وتتولد منه، والخيال قدرة عقلية لا تتأتى للجميع، وكلما كان خيال الشاعر واسعاً كلما كانت الصورة أكثر عمقاً، "فالخيال هو العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها"⁽⁶⁾. فالصورة "نتاج لفاعلية الخيال وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه، إنما تعني إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحده. إذا فهمنا هذه الحقيقة جيداً أدر كنا أن المحتوى الحسي للصورة ليس من قبيل "النسخ"، وإنما هو إعادة تشكيل لها. وطريقة فريدة في

(١) النقد الأدبي الحديث - ص 442-1973م - دار الثقافة - دار العودة - بيروت.

(٢) الصورة الفنية في النقد الشعري د / عبد القادر الرباعي - ص 85 - ط 1 - 1405هـ - 1984م - دار العلوم - الرياض.

(٣) النقد الأدبي الحديث - د/ محمد غنيمي هلال - ص 451.

(٤) الصورة في شعر بشار بن برد - د/ عبدالفتاح صالح نافع - ص 57 - 1983م - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان .

(٥) التفسير النفسي للأدب - ص 58 - ط 4 - دار غريب للطباعة - القاهرة.

(٦) النود الأدبي الحديث - د/ محمد غنيمي هلال ص 411.

تركيبها، إلى الدرجة التي تجعل الصورة قادرة على أن تجمع الإحساسات المتباينة، وتمزجها وتؤلف بينها في علاقات ، لا توجد خارج حدود الصورة" (1).

وقد أشار الدكتور نعيم اليافي إلى أن الصورة الفنية في شعر التيار التقليدي المحافظ تؤدي وظيفتين أساسيتين.

الوظيفة الأولى:

ترتبط بوظيفة الشاعر الاجتماعية التي تجرّه على تقديم الأسباب والمعاذير بين يدي غيره، وترتبط أيضاً بالفكر المنطقي الذي يحكم الشعر بقيمه وترتبط بحاجة الإنسان إلى إقناع الآخرين بفعله.

الوظيفة الثانية:

استخدام الصور بقصد التزين والزر كشة، وقد دعمته عدة أمور منها:

1 -نظرية المحاكاة والصنعة وعلاقتها بالشكلية والتعميم والإطار الصلب.

2 -المفهوم السائد عن الأسلوب أنه عبارة عن حلية ومقدرة لغوية.

3 -نظرية الجمال الحسية الموضوعية وصلتها بالمعنى الشريف واللفظ الأنيق.

فقد كان الشعراء التقليديون يقدمون صورهم الفنية لذاتها ؛ سعياً وراء التنميق والتزيق، وفي سبيل ذلك كانوا يطنبون في أوصافهم وينساقون وراء الكثير من الصفات التي يضيفون بعضه إلى المشبه وبعضها الآخر إلى المشبه به، وهي ليست إلا أثواباً زاهية ليست ضرورية ولكنها قد تعطي الفكرة عمقاً وزر كشة(2).

وبما أن الشاعر حافظ إبراهيم ينتمي إلى التيار التقليدي المحافظ . فقد كانت الوظيفة الأولى واضحة وجلية في شعره من خلال الأبيات التي أوردناها في الفصل السابق، والتي كان يدعو فيها إلى الفضائل ويجارب الرذائل، فقد كان يقوم بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي من خلال حديثه عن الأخلاق، فشعره محكوم بقيم اجتماعية عالية مستمدة من الدين الإسلامي . وقد أشار إلى ذلك الدكتور جابر عصفور حين قال: " يصل حافظ إبراهيم هذا الشعر بالنفثة الروحانية التي تخامر النفوس الزكية، أو

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - د/ جابر أحمد عصفور - ص 340-341 - دار المعارف - القاهرة .

(2) أنظر: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث- ص 19-20- ط1- 2008م- صفحات للدراسات والنشر- دمشق.

يقرن الشعر بالحقيقة التي تشرف على الكون في بيت منه، وبالحكمة التي تصل بين طريقة الشعر وآيات الكتاب العزيز، وذلك في عبارات تصل بين البعد المعرفي والبعد الأخلاقي من الحكمة"⁽¹⁾.

(1) الشاعر الحكيم - قراءة أولية في شعر الإحياء- ص 124 - فصول 124- المجلد الثالث- العدد الثاني -يناير- فبراير- مارس-

الصور الفنية في شعر حافظ إبراهيم

1- الاستعارة:

تعد أعظم فن في علم البيان وقد حظيت بكثير من العناية قديماً وحديثاً. وقد قال عنها عبد القاهر الجرجاني: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجره عليه. تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسداً"⁽¹⁾.

عرفها الخطيب القزويني بقوله: "هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"⁽²⁾. تنقسم الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى:

1- استعارة تصريحية:

"هي أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به"⁽³⁾.
ومن أمثلتها قوله⁽⁴⁾:

عزلٌ ولكن في الجهاد ضراغمُ
لا الجيشُ يفرغُها ولا الأسطُولُ

الشاعر في هذا البيت عبر بكلمة ضراغم عن الشعب المصري فقد شبههم بالأسود الضواري لشجاعتهم، فبرغم أنهم عزل من السلاح إلا أنهم يتحلون بالشجاعة فلا تفرغهم الجيوش الجرارة ولا الأساطيل البحرية العظمى، فالعلاقة بينهم وبين الضراغم المشابهة، والقرينة المنعة من إرادة المعنى الحقيقي قوله: (ولكن في الجهاد) لأن الجهاد مفروض على الإنسان فقط دون الحيوان. وهنا استغل الشاعر الصورة المطبوعة في أذهان العرب عن الأسود تحديداً، فقد كان العربي يحرص على تسمية أبنائه بأسماء الأسد تيمناً بهذا الحيوان الذي يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام، والشجاعة من أنبل الصفات العربية ومن أجمل ما اتصف به الرجل العربي. ومن هنا أحب العرب هذا الحيوان القوي وأحبوا التشبه به إلا أن استعارة أسماء الأسد للتعبير عن الشجاعة تعد استعارة مستهلكة ومكررة حتى إنها تستعمل في أحاديث الناس اليومية والاستعارة في هذا البيت تصريحية لأن الشاعر صرح بذكر المشبه به وهو الضراغم. ويقول⁽¹⁾:

(1) دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجاني - ص 67- قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر - ط3- 1413هـ/1992م- دار المدني - جدة.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 159- اعتنى به وراجعها عماد الدين بسويوني - ط1- 1426هـ/2005م- دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة-عبد القاهر الجرجاني- ص 178.

(4) الديوان: 69/1.

أنت ما يدريك لو أنبفَّ
ربما أطلعتَ بدرًا نيرا

في هذا البيت عبر بكلمة بدر عن اليتيم وهو بذلك يشبهه بالبدر في اكتماله وجمال ظهوره وعلوه ونظرة الناس الحميلة له فهو يقول أن هذا اليتيم إذا ساعده أهل الثروة والغنى وأتاحوا له أن يعيش حياة كريمة قد يصبح شخصاً مهماً صاحب مكانة رفيعة يخدم دينه ووطنه وشعبه لأنه إن تهيأت له الظروف المناسبة نبغ وأبدع . وهو بذلك يستفيد ويفيد غيره وحافظ هنا استعار كلمة البدر وحملها الكثير من المعاني الجميلة التي تدل عليها فهي تحمل معنى العلو والمكانة الرفيعة ومعنى الكمال والظهور إلا أن التعبير عن العلو والمكانة الرفيعة بالبدر تعبير مألوف ومنطقي ولا يحمل أي إبداع وهذه الاستعارة تصرحية لأن الشاعر صرح بذكر المشبه به البدر. ويقول⁽²⁾:

واهاً على تلكِ المواقفِ إنها
كانت مواقفَ ليثٍ غاب ضاري

عبر حافظ بكلمة ليث عن ممدوحه مصطفى كامل (1874-1908م) وهو بذلك شبهه بالأسد في صرامته وقوته وتزعمه واتخاذ القرار في المواقف الصعبة، فالليث زعيم الغابة الذي تمابه كل الحيوانات وتأنم بأمره، وكذلك الممدوح كان زعيماً مسموع الرأي في قومه، فقد كان سيد المواقف الصعبة وصاحب القرار الحاسم، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي حاله تفهم من السياق . وكلمة ليث في هذا البيت وظفت من قبل الشاعر بشكل جيد، فقد اختزلت الكثير من الصفات والمعاني فهي ترمز إلى الشجاعة والقوة والقيادة وحسن التصرف، ولكن كما قلت سابقاً إن التعبير بأسماء الأسد عن الشجاعة والقوة يعد تعبيراً مستهلكاً والاستعارة في البيت تصريحية لأن الشاعر فيها صرح بذكر المشبه به وهو الليث.

2- استعارة ملثية:

تحدث عنها الخطيب القزويني بقوله: " قد يضمّر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به"⁽³⁾.
ومن أمثلتها قوله⁽⁴⁾:

ننهبُ اللهو غافلينِ وكنـا
نحسبُ اللهَ رَقَدَ أنابَ وتابا

(١) المرجع السابق: 245/1.

(٢) الديوان: 141/2.

(٣) أنظر: الإيضاح في علوم البلاغة - ص 176 - اعتنى به وراجعته عماد الدين بسيوني.

(٤) الديوان: 204/2.

حافظ أراد أن يشبه الدهر بالإنسان فذكر المشبه الدهر وحذف المشبه به الإنسان ، وجاء بشيء من صفاته ولوازمه وهي الإنابة والتوبة، وهي أيضاً القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي . فالشاعر جاء بهذه الاستعارة حتى يوضح شدة الاطمئنان والأمن من الدهر والظن أنه صفا ولن يكدر ثانية، فالتوبة والإنابة تعني الصدق في الرجوع عن الشيء وعدم العودة إليه ثانية، فهذه الاستعارة أعطت المعنى قوة وأكسبته جمالا لأنها جعلت من الدهر إنساناً يتوب وينيب والشاعر من خلال توظيفه لهذين الفعلين أعطى مبرراً قويا جداً للإمعان في اللهو والغفلة، لأن من يأمن العقوبة يسريء الأدب، لكن هذه الاستعارة أيضاً تعد قريبة ولم يخلق فيها حافظ بخياله وتسمى هذه الاستعارة استعارة مكنية.

ويقول - أيضاً⁽¹⁾:

مؤثرَ البؤسِ والشقاءِ على الشكِّ — سوى وإنْ عضركَ الزَّمانُ بنابِ

شبه الزمان بجيوان مفترس فذكر المشبه الزمان وحذف المشبه به الحيوان المفترس وجاء بشيء من صفاته ولوازمه وهو العض بالناب، وهو أيضاً القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي . وقد جاء بهذه الاستعارة ليوضح شدة قسوة الظروف وحوادث الزمان على الإنسان ، حتى إنها أصبحت تفترسه افتراس الوحوش الضواري، فاستعارته الناب للزمان قد أعطى المعنى قوة وأكسبه حساً جلياً يستثير المشاعر. وحافظ بهذه الاستعارة قد سما بممدوحه إلى أقصى درجات الصبر وعزة النفس فهو صابر ورغم البؤس والشقاء إلا أنه عزيز النفس لا يشتكي وإن قسا عليه الزمان وافتترسته حوادثه وظروفه، وهذه الاستعارة رغم ما أعطته للمعنى من قوة إلا أنها لم تحمل أي جدة ويطلق على هذه الاستعارة استعارة مكنية.

(1) الديوان: 219/2.

2- التشبيه:

" هذا الباب يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء. وذلك أنه يكسب الكلام بياناً عجيباً. وهو طبقات في الحسن"⁽¹⁾.
وهو "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى"⁽²⁾ وله عدة أنواع نختار أبرزها عند الشاعر كما يلي:

1. التشبيه المرسل:

هو " ما ذكرت أدواته"⁽³⁾

ومن أمثله⁽⁴⁾:

والحامل الأقلام مشروعةً كأنها بعضُ القنا الشرُّع

يشبه الأقلام التي تدافع عن الحق وتنصر المظلوم وتحاكم الظالم بالرماح التي تصوب للدفاع عن النفس، فالقلم سلاح مشروع للدفاع عن النفس، كما أن قوته لا تقل أبداً عن قوة الرماح فإذا كان المحارب يقاتل في الحرب بعدة القتال، فالكتاب - أيضاً - يحارب ويقاوم بقلمه ويحقق الانتصار، فانتصاره انتصار للفكر والمبادئ والحرية. والشاعر من خلال تشبيهه الأقلام بالرماح جعل للقلم أهمية لا تقل عن أهمية السلاح لأنه نوع من أنواع الأسلحة لذلك فإن تشبيه القلم بالرماح تشبيه مستهلك وقريب جداً، وهذا التشبيه مرسل لأنه ذكر المشبه الأقلام والمشبه به القنا وأداة التشبيه الكاف. ويقول⁽⁵⁾:

في دورهن شؤونهن كثيرةٌ كشؤون رب السريف والمزراق⁽⁶⁾

شبه حافظ عمل المرأة في بيتها بعمل المحارب في القتال فهي تناضل مثلما هو يناضل فعملها في بيتها جهاد توجر عليه مثلما يوجر المقاتل على جهاده، وهو هنا يريد أن يوضح أن عمل المرأة في بيتها لا يقل أهمية عن عمل الفارس في الميدان فهي مربية الأجيال التي يخرج من تحت أيديها العظماء

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني - ص 81 - حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد د /

محمد زغلول سلام - ط4 - دار المعارف - القاهرة.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 122 - اعتنى به وراجعته عماد الدين بسيوني.

(3) المرجع السابق 151

(4) الديوان: 18/1.

(5) المرجع السابق: 222/1.

(6) المزراق: الرمح. هامش الديوان 222/1

والأبطال. وهذا التشبيه مرسل لأنه ذكر المشبه ضمير الغائبات هن وذكر المشبه به وهو قوله : (شؤون رب السيف والمزراق) وأداة التشبيه الكاف.

2. التشبيه الضمني:

هو: "التشبيه المكني غير المصرح"⁽¹⁾. بمعنى أن التشبيه لا يظهر بشكل واضح بل يفهم ضمناً من

خلال السياق.

ومنه قوله⁽²⁾:

ما عابهم أنهم في الأرض قد نثروا فالشُّهْبُ منثورَةٌ مذ كانت الشُّهْبُ

شبه الشاميين الذين قد انتشروا في بقاع الأرض طلباً للرزق، بالشهب المنتشرة في السماء وتشبيهم بالشهب يوحى بعلو المنزلة، فالشاميون وصلوا إلى مناصب عالية في البلدان التي هاجروا إليها، وحافظ جاء بالتشبيه بشكل ضمني في جملة مستقلة وضمنه المعنى في صورة برهان ولم يصرح به.

وقوله⁽³⁾:

جدتم لها بالنفس في ورد الصبا والوردُ لم ينظرُ إليه ذبُولُ

يقول حافظ: إن شباب مصر قد ضحوا بأنفسهم من أجل مصر وهم مازالوا في عمر الزهور فهو يشبههم بالورد، والورد يوحى بلنظارة والجمال والإقبال على الحياة وهو بتشبيهه هذا جعل كل هذه المعاني تصل إلى ذهن المتلقي بأسلوب ضمني يوحى بالتشبيه ولا يصرح به، وتشبيهه الشباب بالورد تشبيه مستهلك ومكرر حتى إنه يستخدم في الأحاديث اليومية التي تدور بين الناس.

3. التشبيه البليغ:

يقوم على "ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه"⁽⁴⁾.

ومن ذلك قوله⁽⁵⁾:

شمائلك الغرُّ هنَّ الرياض روى عن شذاها نسيماً السَّحَرُ

شبه الشاعر صفات إسماعيل صبري (1854-1923م) وأخلاقه بالرياض ذات الشذا العطر وهو يريد أن يقول إنه صاحب سيرة عطرة وخلق رفيع، فالقرب منه يريح النفس مثلما القرب من الرياض يريح الإنسان. وهذا التشبيه بليغ لأنه ذكر المشبه وهو قوله (شمائلك) وذكر أيضاً المشبه به (الرياض) وحذف

(١) المطول على التلخيص - سعد الدين الفتازاني - ص 344 - مطبعة أحمد كامل - 1330هـ.

(٢) الديوان: 210/1.

(٣) المرجع السابق: 71/1.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 152 - اعتنى به وراجعها عماد الدين بسويبي.

(٥) الديوان: 188/2.

أداة التشبيه ووجه الشبه وعلى الرغم من أنه تشبيه بليغ إلا أنه لا يعد كذلك لأن تشبيه الأخلاق الحسنة بالرياض والرائحة العطرة تشبيه مكرر ومتداول. كما أن البيت يضم استعارة مكنية في قوله : (شمالك الغر) حيث شبه حافظ صفات ممدوحه بالخيول النفيسة ، فحذف المشبه به (الخيول) وجاء بشيء من لوازمها وهي الغرة التي تكون في الحصان النفيس.

3) المجاز:

" هو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كلفظة الأسد في الرجل الشجاع"⁽¹⁾.

وللمجاز أقسام عدة ذكرها البلاغيون وسأعرض أهم ما جاء منها في شعر حافظ.

1- المجاز المرسل:

"هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه"⁽²⁾.

من أمثلته⁽³⁾:

وطوّقت العوارفُ كلَّ جيدٍ وكان شعارنا رفقاً ولينا

المجاز المرسل في قوله (جيد) فالمعروف لا يطوق الجيد فقط بل يغمر شخص الإنسان ولا يختص بالجيد ليس غير، لكن لما كان الجيد هو موضع كرامة الإنسان . ولذا أطلق على النفس كما في القرآن الكريم :

(وما أدراك ما العقبة . . . فك رقبة)⁽⁴⁾ . وعندما يساعد الإنسان أخاه الإنسان يكون ذلك إكراماً

واحتراماً له، لذلك أطلق الجزء (الجيد) وأريد به كل شخص الإنسان، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية. ويقول⁽⁵⁾:

دعائمه القويّ وأساسه الهدى وفيه الأيدي موضعُ اللبنةِ

(1) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 152 - اعتنى به وراجعه عماد الدين بسويوني.

(2) المرجع السابق - ص 154

(3) الديوان: 251/1.

(4) البلد 12-13.

(5) الديوان: 133/2.

المجاز المرسل في قوله: (الأيادي) والمراد أن بيت الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) مليء بالنعم والخيرات أطلق كلمة (الأيادي) وأراد النعم لأن اليد هي الآلة التي تصدر عنها النعمة وهذا مجاز مرسل علاقته الآلية.

4-الكناية:

" لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ "⁽¹⁾ والكناية تنقسم إلى عدة أقسام كما ذكره البلاغيون، ونعرض لأهم ما ظهر منها في شعر حافظ.

1-الكناية عن الصفة:

"هي المطلوب بها الصفة"⁽²⁾.

100

من أمثلتها⁽³⁾:

كثيرُ الأيادي، حاضرُ الصُّرُحِ منصفٌ كثيرُ الأعادي، غائبُ الحقدِ مسعفٌ
الكناية في قوله: (كثير الأيادي) فالشاعر يريد أن يصف الممدوح بكثرة النعم وكثرة المساعدة لغيره فهو كريم وصاحب نجدة، ولكنه لم يذكر ذلك صراحة بل كنى عنه بكثرة الأيادي . والكناية بكثرة الأيادي عن الكرم وكثرة المساعدة كناية مستهلكة واستخدمها الكثير من الشعراء قديماً وحديثاً.
ومنها- أيضاً-⁽⁴⁾:

أستودعُ الله شهماً ندباً طویلَ النجادِ

الكناية في قوله (طويل النجاد) والشاعر هنا يريد أن يصف الممدوح بطول القامة والشجاعة ولكنه لم يذكر ذلك صراحة، وإنما كنى عنه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ويلزم من طول الجسم الشجاعة، وهي من أجمل صفات الرجل العربي . والكناية بطول النجاد عن الشجاعة كناية مستهلكة ومكررة.

ومنها قوله في الشيخ محمد عبده (1266-1323هـ)⁽¹⁾

(١) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 182- اعتنى به وراجعته عماد الدين بسويوني.

(٢) المرجع السابق- ص 183

(٣) الديوان: 10/1.

(٤) المرجع السابق: 66/2.

ملاذ عيايل، ثمال أرامل
غياث ذوي عدم إمام هداة
الكناية في كامل البيت فقوله: (ملاذ عيايل، ثمال أرامل، غياث ذوي عدم، إمام هداة) كلها كنايات عن صفات الكرم، والنجدة والمساعدة فهو يكفل الأيتام والأرامل، ويقوم بأمرهم ويعين المحتاجين والفقراء وتسمى هذه الكناية عن صفة وجميع هذه الكنايات مستهلكة ومكررة.

2- الكناية عن الموصوف:

هي " المطلوب بما غير صفة ولا نسبة"⁽²⁾.

من أمثلتها⁽³⁾:

قِيَّضَ اللهُ لِلضَّعِيفِ نَفُوساً تَعَشَّقُ البَيَّ مِنَ ذَوَاتِ الحِجَالِ

الكناية في قوله (ذوات الحجال) فالشاعر كنى بذوات الحجال عن السيدات ، والحجال هو موضع تزين العروس، وهو بذلك أراد أن يشير إلى جمعية خيرية كانت مكونة من سيدات.

101

ومنها قوله⁽⁴⁾:

سَتَكْفِيهَا العِنَايَةُ كُلَّ شَرٍّ وَيَجْرُسُ حُدْرَهَا (الرُوحُ الأَمِينُ)

في البيت كناية قوله (العناية) وهي كناية عن الله سبحانه وتعالى لأنه يعتني بخلقه ويحيطهم برحمته، أما الكناية الثانية فهي قوله (الروح الأمين) كناية عن جبريل عليه السلام، فقد كنى عنه بالروح الأمين، لأنه أمين على الوحي الذي ائتمنه عليه الله سبحانه وتعالى، واختصه به وكلا هاتين الكنايتين معروف ومستهلك يستعمله الناس العاديون في أحاديثهم اليومية.

ويقول الدكتور أحمد أمين عن راسكين: " كل من الشاعر والمصور يلتقط كل ما رأى وما سمع طول حياته، ولا يفوقهما منظر حتى لو كان أدق طيات الملابس أو حفيف أوراق الشجر، ثم يخزنها ثم يهيم الخيال، فيستخرج منها صوراً وآراء متناسبة منسقة في الأوقات الملائمة"⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق: 133/2.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 182 - اعتنى به وراجع عماد الدين بسبوي.

(3) الديوان: 245/1.

(4) الديوان: 223/2.

(5) النقد الأدبي - أحمد أمين - ص 55-4-ط4-1387هـ/1967م - دار الكتاب العربي - بيروت.

وهذا يعني أن الصور الفنية التي يوردها الشاعر في شعره هي وليدة إعمال خياله فيما اخترته من صور ومشاهد ومواقف وتجارب مرت عليه طول حياته، ولا بد أن يغذي هذه الصورة بعواطفه وأحاسيسه وآرائه وفلسفته الخاصة حتى تصطبغ بلحجاته النفسية وبشخصيته ويصبح لها طابعها المميز الذي يميزها عن غيرها.

وهذا ما لم يفعله حافظ إبراهيم في شعره عن الأخلاق، فقد وقف عندما رآته عينه ونقله كما رآه دون أن يحمله أي عمق وأي فلسفة.

وقد ذكرت الدكتورة فاطمة سعيد حمدان: "أن الصورة الفنية لا يمكن أن تنفصل عن الخيال، فهو الذي يمكن الشاعر من تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، فيجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباعدة ويعيد تشكيلها وينشأ بينها علاقات تذيب التنافر وتقرب المسافات، فيحل بينها الانسجام والاتئلاف، لأنها تتفاعل وتتحوّل إلى كائن لغوي وعالم مستقل عن جزئياته التي شكلته"⁽¹⁾.
الدكتورة فاطمة هنا تتحدث عن حالة الخلق لدى الشاعر كيف يستطيع أن يصنع من أشياء متضادة كائناً جديداً مختلفاً عن مكوناته، وهذه الحالة هي أقصى درجات الإبداع عند الشاعر ومن يحرم منها فقد حرم المتلقي من المتعة الفنية وجاءت صورة مألوفة ومبتذلة. فنحن لا نستطيع أن نصف أي شاعر بالإبداع إلا إذا استطاع أن يخلق حالات من الإبداع الفني لم يعتادها المتلقي ولم يألفها.
هذا ما لم يتأت لحافظ إبراهيم ولهذه الأسباب جاءت استعاراته وتشبيهاته وكنائياته مألوفة ومستهلكة لدرجة أنها تستعمل في الأحاديث العادية التي تدور بين الناس، وهذا يظهر من خلال هذه النماذج التي تناولناها بالدراسة، والتي تعد من أفضل الصور في شعره عن الأخلاق كما افهم، إلا أنها تعد مألوفة وقريبة إذا ما قورنت بغيرها من صور شعراء المدرسة التقليدية. كما أنني عملت جاهدة على إبراز مميزات استخدامه لهذه الصور وكيف أنها أدت وظيفتها في إيصال المعنى لذهن المتلقي وعلى رغم من أنها مألوفة وبعيدة عن الإبداع والابتكار إلا أنها لا تخلو من الصور الجميلة التي تحمل معاني راقية وقيمة خالدة، ولكن يؤخذ على حافظ نقله لصور القدماء كما هي دون أن يضيف لها أي جديد، فهو لم يستطيع الابتكار ولم يستطيع التجديد، وقد أكد ذلك الدكتور طه حسين حيث قال: "كان حافظ يقلد القدماء تقليداً ويحاكيهم محاكاة تذهب بشخصيته أو تكاد تذهب بها... وأحسست، كأنك تقرأ شعر طالب وضع أمامه نماذج من الشعر القديم وأراد محاكاتها، فأخذ معاني القدماء، وذهب مذهبهم في الغلو السقيم"⁽²⁾.

(1) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة- د/فاطمة سعيد حمدان- ص 290-1421هـ/2000م.

(2) حافظ وشوقي- ص 157.

كما قال أيضاً: "لحافظ في شعره كله صور يقلد فيها القدماء، ولكنه لم يحققها ولم يحصها، ولم يكن حافظ يحفل بمثل هذا التحقيق والتمحيص؛ لأنه كان يؤمن بروعة اللفظ وأثرها في نفس السامع والقارئ"⁽¹⁾.

والدكتور طه حسين يشير في كلامه هذا إلى أن حافظ كان يؤثر جزالة اللفظ على التعمق في المعاني، كما أنه اعتمد في تشبيهاته على الأشياء المتشابهة ولم يحاول الجمع بين المتضادات التي تعمل على تميز العمل وتفتح آفاق الشاعر للخلق والإبداع. وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبدالعزيز المقالح حيث قال: "حافظ إبراهيم الذي لم يبرح مناخ الشعر العربي القائم على الفكرة لا على الصورة، وعبثاً يحاول الدارس البحث في شعر حافظ عن صورة تختلف في تركيبها عن تركيب الصورة كما هي عند شعراء العصر العباسي على أحسن الأحوال"⁽²⁾.

وقد انتقد الدكتور نعيم اليافي الصور الفنية في شعر حافظ إبراهيم قائلاً: "لو ذهبنا نتبع الصور الفنية في شعر هذا الشاعر ونفحصها بوصفها الوسائط التي يولدها الخيال ويخلقها، وقارناها ببقية الصور الفنية للشعراء التقليديين الذين ندرسهم لانتهينا إلى أن حافظاً كان أضحلهم خيالاً، وأقلهم إبداعاً وابتكاراً، وأضعفهم في التصوير، وأقربهم إلى سطح الحياة وتقرير الأشياء، وإذا كانت الأفكار المباشرة، والألفاظ التي لا تحمل سوى معانيها ذات الدلالات المحدودة، والإشارات الحرفية الكافية هي الأبنية الأساسية والهامة التي يقوم عليها شعره"⁽³⁾.

هذا الكلام يؤكد ما ذكرته سابقاً أن حافظاً كان ضعيف الخيال هزيل الصور فصوره الفنية في أفضل حالاتها مألوفة ومبتذلة إذا ما قورنت بغيرها من صور شعراء المدرسة التقليدية المحافظة. قال الدكتور طه حسين: "غنيت ذاكرة حافظ، ولكن عقله ظل فقيراً. فاعتمدت شاعريته على الذاكرة من جهة وعلى الحياة المحيطة به من جهة أخرى. استمدت موضوع شعره من هذه الحياة واستمدت صورة شعره من تلك الذاكرة، وكانت ثقافة حافظ العقلية محدودة فلم ينفذ عقله إلى طبائع الأشياء، ولم يصل إلى أسرارها فعجز عن إجادة الموضوع"⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق- ص 172-173.

(2) شوقي وحافظ وأوليات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة- د/ عبد العزيز المقالح - ص 198- فصول - المجلد الثالث- العدد الثاني- يناير - فبراير - مارس - 1983م.

(3) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث-ص 66.

(4) حافظ وشوقي- ص 197-198.

كلام الدكتور طه حسين - أيضاً- يؤكد ما ذكرته سابقاً أن حافظاً لم يتعمق في رؤيته للأشياء إنما وقف عند ما رآته عينه ونقله كما هو دون أن يعمل خياله لذلك اتسمت صورته بالقرب وعدم الابتكار.

كما قال الأستاذ أحمد أمين في المقدمة التي كتبها لديوان حافظ إبراهيم "أما خياله، فكان مع الأسف -خيالاً قريباً- قل حظه من الابتكار، وقل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة فيه، ثم يخرج إلى الناس كما يشعر به وقصر عن أن يخلق في السماء فيصور منظرًا عاماً يجذب النفوس إليه" (1).

وبذلك نجد أن معظم النقاد وصفوا حافظ بضعف الخيال وعدم القدرة على الابتكار.

أما الدكتور محمد بن سعيد بن حسين فقد قال: "وفي بحثي عن الخيال في شعر شاعرنا، خرجت بنتيجتين أحسب أن الصواب حالفتي فيهما:

الأولى: أنه لم يكن يخلو من الخيال البديع الموحى أحياناً.

والثانية: أنه لم يلحق بمن اعتبروا أنداداً له من فحول عصره" (2).

بالتأكيد لا يخلو شعر حافظ من الصور الجميلة وهذا يتضح من خلال النماذج آفة الذكر، لكن هذه الصور الجميلة لا تلبث أن تصبح عادية إذا ما قورنت بغيرها من صور شعراء المدرسة التقليدية، فهذه الصور تبدو جميلة عندما تقارن بالصور السخيفة التي يعج بها ديوان حافظ ومنها(3):

وأصبحت (مكـدُن) ياقوتةً يغارُ منها الدرُّ والجوهرُ

104

علق الدكتور عبد الحميد سند على هذا البيت قائلاً: "فهذا ذوق فاسد ونفس خشنه رأت في منظر الدماء ما يغار منه الدر والجوهر" (4).

من هذه الصور السمجة- أيضاً- (5):

وأصبح الشعرُ والأسماعُ تنبذه كأنه دسمٌ في جوف مهِرٍ

هو يرى أن الشعر من بعد موت البارودي (1255-1322هـ) أصبح شيء يكرهه وينبذه الناس مثلما ينبذ الإنسان المعلول بمعدته الطعام الدسم. وهذا التعبير يثير التقزز والاشمئزاز. فالشعر فن جميل

(1) مقدمة ديوان حافظ ج .

(2) حافظ إبراهيم ونظرات في شعره- ص 92-1 ط- 1404 هـ - 1984م - دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض

(3) الديوان: 7/2.

(4) حافظ إبراهيم شاعر النيل- ص 122

(5) الديوان: 127/2.

وراقبي ولا يصح أن يشبهه بهذه الصورة التي صورها حافظ . وغير هذه الصور السمجة، كثير في ديوانه.

لذلك لا نستغرب إذا ما قال عنه صديقه الأستاذ أحمد محفوظ: "كان حافظ قريب الغور، لا يضرب في سموات الخيال بسهم بعيد الرمية، ولا يخلق إلا بأجنحة متكسرة"⁽¹⁾.
وقد قال الدكتور عبد الحميد سند أنه على أية حال فقد قصر خيال حافظ عن أن يخلق عالياً في السماء فيزجي إلى الفن صوراً رائعة. ونحن لا ننكر أن له صوراً جميلة ولكنها قليلة في شعره.
وقد أرجع أسباب نضوب خيال حافظ إلى ثلاثة أمور هي:

1- ضعف ثقافته الغربية ولو كانت واسعة لوجدنا أثر ذلك في شعره من خلال الخيال الممنوع.
2- إنه لم يعيش حياة مترفة يرى فيها قصور الحكام الرائعة التي تزخر بالجمال من التحف والأواني النفيسة والأثاث الموحى.

3- قلة أسفاره ورحلاته فهو لم يتسنى له الكثير من الأسفار ولم يسافر إلى أوروبا إلا مرة واحدة زار فيها فرنسا وإيطاليا فلم يتمكن من رؤية ما يوسع خياله ويثري قريحته⁽²⁾.
وقد ذكر الدكتور محمد بن سعيد أن حافظاً لم يكن صاحب خيال، ولم تكن لديه القدرة على الانسياب والولوج إلى مسارب الحس والشعور ليصل إلى ما خلف الظواهر والمحسوسات الغربية، غير أن الخيال ليس كل الجمال وإنما هو جانب إذا نقص عوض عنه جانباً آخرًا، وهذا ما حدث لحافظ فقد اعتاض عن الخيال بجمال اللفظ وحسن التعبير وسلامة التركيب والأسلوب والتفنن في الموسيقى الشعرية ولكن هذا لا يلغى فقدان حافظ لجانب مهم جداً من جوانب الجمال وهو الخيال⁽³⁾.

بالفعل هذا ما تم لحافظ فلم يكن صاحب خيال ولكنه كان صاحب موسيقى رنانة، جعلت شعره يليق بأن يكون شعر المناسبات الاجتماعية لذلك سيكون المبحث الثاني من هذا الفصل عن الموسيقى في شعر حافظ إبراهيم.

(١) حافظ إبراهيم ونظرات في شعره - د/ محمد بن سعيد بن حسين - ص 88.

(٢) أنظر: حافظ إبراهيم شاعر النيل - ص 122-123 (بتصرف).

(٣) أنظر: حافظ إبراهيم ونظرات في شعره - ص 88-89 (بتصرف).



المبحث الثاني
الموسيقى

الموسيقى

يقوم الشعر على نسق من الموسيقى لا يكاد يخلو منه، بل ثمة من يرى : "إن صلة الشعر بالموسيقى صلة مصيرية وغير قابلة للفصل مطلقاً، وهي صلة قديمة تمتد إلى الجذور الأولى لنشأة كلمة شعر. بمعناه الأولى البسيط، وتطورت هذه الصلة بتطور الفن الشعري حتى أصبح الشكل الشعري المنظوم محكوماً بهندسة موسيقية منتظمة لا تقبل الخلل"⁽¹⁾.

بهذا فالموسيقى هي حجر الأساس الذي يقوم عليه العمل الشعري، وهي الميزة التي تميزه عن النثر وتجعل له ميل فني في النفس الإنسانية لأنها تستجيب وترتاح لما يكون منظماً أو مستمراً في حالة منتظمة متشابهة⁽²⁾.

ولكن مما تتكون هذه الموسيقى الشعرية؟

العناصر الأولية المكونة للموسيقى الشعرية "هي الحركة والسكون ومن هذه الحركات والسكنات تتكون الفواصل المختلفة، وكل مجموعة من الفواصل تكون تفعيلة ... وأوزان الشعر العربي تتكون من مجموعات من التفاعيل المتساوية أو المتجاوبة مع اختلافات بسيطة تسمى الزحاف والعلل ، وهي الخلافات التي لا تؤدي إلى تغير النسق الموسيقي العام للبيت الشعري"⁽³⁾.

قسم علماء العروض المحدثين الموسيقى الشعرية إلى نوعين من الموسيقى خارجية وداخلية ومنهم الدكتور علوي الهاشمي حيث قال: "تنقسم بنية الإيقاع إلى مجالين خارجي/ظاهر وداخلي/خفي"⁽⁴⁾. بوقفة متأنية عن موسيقى الشعر في ديوان حافظ إبراهيم وشعره الأخ لاقى كغيره من الشعراء المحافظين. تمكنا من التمييز بين نوعين من الموسيقى، دارت حولهما الدراسة في هذا المبحث.

النوع الأول: الموسيقى الخارجية:

وتتمثل في لونين هما: الوزن والقافية وهما من أساسيات الشعر التي لا يحق للشعراء إهمالها، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: "فالشعر جاءنا منذ القدم موزوناً ومقفى، والشعر لا يزال

-
- (1) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الإيقاعية - أ. د/محمد صابر عبيد- ص 63- منشورات اتحاد الكتاب العرب - 2001م- دمشق.
- (2) انظر: العروض وإيقاع الشعر العربي- د/ عبدالرحمن تيرماسين- ص 81- ط1- 2003م- دار الفجر للنشر والتوزيع- القاهرة.
- (3) الأدب وفنونه- د/محمد مندور- ص 34- ط2- دار نمضة مصر للطبع والنشر- القاهرة.
- (4) فلسفة الإيقاع في الشعر العربي- ص 34- ط1- 2006م - وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني- مملكة البحرين.

في جل الأمم موزوناً مقفى، نرى موسيقاه في أشعار البدائيين وأهل الحضارة ويستمتع بها هؤلاء وهؤلاء، ويحافظ عليها هؤلاء وهؤلاء"⁽¹⁾.

وبالنظر إلى ديوان حافظ نجد أن الوزن والقافية يمثلان علامة بارزة في بناء الموسيقى، وهذا أمر طبيعي لأن حافظاً ينتمي إلى المدرسة التقليدية المتمسكة بتقاليد الشعر القديم المحافظ على عمود الشعر العربي، فجميع قصائد ديوانه من الشعر البيتي المتكون من شطرين، والملتزم بقافية واحدة من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت، برغم كتابته عدداً قليلاً جداً من القصائد التي حاول التنويع في قوافيها، وألزم نفسه فيها بما لا يلزم.

1 - الأوزان:

الوزن " هو مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت "⁽²⁾ وهو يتكون من " البحور العروضية وتفاعيلها المختلفة"⁽³⁾.

وبحر الكامل أكثر بحر استهوى حافظاً لينظم فيه، وقد نظم فيه تاماً ومجزوءاً التام منه نحو⁽⁴⁾:

ما كان يأمنُ عشرةً لو لم يكن
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن
والمجزوء منه⁽⁵⁾:

يا كاسى الأخ—لاق في
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن
بلدٍ عن الأخلاقِ عـارى
متف—اعِلن متفاعِلن

وقد جاء المجزوء من الكامل أيضاً قوله⁽⁶⁾:

من كل أروع فاتـك
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن
لا يستشير سوى الغرار
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

ثم بعد ذلك يأتي كل من بحرى الطويل والخفيف وقد نظم في بحر الطويل التام وجاء نظمه فيه على عدة صور منها⁽¹⁾:

(1) موسيقى الشعر-ص 22-ط4-دار العلم-بيروت.

(2) النقد الأدبي الحديث - د/ محمد غنيمي هلال ص 462 .

(3) فلسفة الإيقاع في الشعر العربي - د/ علوي الهاشمي - ص 34.

(4) ديوان حافظ إبراهيم 101/1 - طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ

وشوقى - 2007م - تقدم فاروق شوشه.

(5) الديوان : 114/1 .

(6) المرجع السابق: 81/2 .

بِحَدِّهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ

وَجَرَّدَتْ لِلْفَتْيَا حَسَامَ عَزِيمَةٍ
فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ

أما الخفيف فقد نظم فيه تاماً على نحو قوله⁽¹⁾:

يتاء والشرع والهدى والكتاب
فاعلاتن مستفعان فاع—لاتن

يا أميناً على الحقيقة والإف—
فاعلاتن مستفعان فاع—لاتن

وبحر البسيط يعد أيضاً من البحور التي أكثر حافظ من النظم فيها وقد جاء في ديوانه لهاً كقوله⁽²⁾:

أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديتها
مستفعان فاعلن مستفعان فعلن

حسب القوافي وحسى حين ألقبها
مستفعان فاعلن مستفعان فعلن

وجاء مجزوءً كقوله⁽³⁾:

قامَ به هذا الفتي القدسى
مستفع—لن فاعلن فعولن

بأن ه—ذا عملٌ ص—الحُ
مستفعان فاعلن مستفعان

هذا النوع من البسيط لم يستسغه الشعراء ولم ينظموا عليه كثيراً وفضلوا نوعاً آخر مشتق منه سموه مخّلع البسيط⁽⁴⁾.

أما بحر الرمل فقد نظم فيه حافظ تاماً⁽⁵⁾:

أنه ذاك العصامى الأبي
فاع—لاتن فاعلاتن فاعلن

بشروه بالطلّان ونسوا
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

وهذه الصور حسنة تستسيغها الأذن⁽⁶⁾.

نظم حافظ في الوافر تاماً نحو⁽⁷⁾:

به عند الشدائد يستعين
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

أصيب بذى مضاءٍ أريجٍ
مفاعلتن مفاعلتن فعولن

ونظم فيه مجزوءاً نحو قوله⁽⁸⁾:

ولا ديةٍ ولا رهبٍ
مفاعلتن مفاعلتن

يقتلنا بلا قودٍ
مفاعلتن مفاعلتن

(١) الديوان: 24/1.

(٢) المرجع السابق: 77/1.

(٣) المرجع السابق: 297/1.

(٤) انظر: موسيقى الشعر - إبراهيم أنيس. 131.

(٥) الديوان: 39/1.

(٦) انظر: موسيقى الشعر - إبراهيم أنيس. 94.

(٧) الديوان: 243/2.

(٨) المرجع السابق: 110/2.

و كلا الصورتين شائع وحسن⁽¹⁾.

نظم حافظ في المتقارب عدة قصائد وقد جاءت على أكثر من صورة منها⁽²⁾:

وَأَلْتَمُّ كَفَّ كَرِيمِ الْجُدُودِ غِيَاثِ الْعُفَاةِ مُزِيلِ الْكُرْبِ
فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُلْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُلْ

ومنها⁽³⁾:

نَعْمَنَ بِنَفْسِي وَأَشْقِي-نِي فِيآلِيته-____نَّ وَيَالِيَتِي
فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُو فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُو

وهذه الصورة من أكثر الصور شيوعاً وأحبها إلى الشعراء⁽⁴⁾.

أما بحر السريع فهو من البحور التي قل استعمالها قديماً وحديثاً، فالأذن عندما تسمع شعراً من هذا البحر تشعر باضطراب في الموسيقى لا تستريح له الأذن والسبب في ذلك أن الأذن لم تعت سماعه لقلته في الشعر العربي⁽⁵⁾.

وقد نظم حافظ في التام منه نحو⁽⁶⁾:

جَمُّ الْمَح-أَمَدٍ غَيْرُ مَتَهْمٍ جَمُّ النَّوَاضِعِ غَيْرُ مَبْتَدَلِ
مَسْتَفْعَلُنْ مَسْتَفْعَلُنْ فَاعِلُنْ مَسْتَفْعَلُنْ مَسْتَفْعَلُنْ فَاعِلُنْ

وهذه الصورة هي أكثر الصور شيوعاً وأقربها إلى النفوس⁽⁷⁾.

أما المديد فهو " بحر اعترف أهل العروض بقلة المنظوم فيه"⁽⁸⁾ وقد نظم فيه حافظ تاماً نحو⁽⁹⁾:

يَا أَمِيرَ الْحَجِّ أَنْتَ لَهُ خَيْرُ وَاقِ خَيْرُ مُؤْتَمِنِ
فَاعِلَاتِنْ فَاعِلُنْ فَعَلُنْ فَاعِلَاتِنْ فَاعِلُنْ فَعَلُنْ

هذه الصورة هي الشائعة بين المتأخرين وإن كان بحر المديد مما يندر النظم فيه في الشعر العربي⁽¹⁾.

(١) انظر: موسيقى الشعر - د/ إبراهيم أنيس 87-123

(٢) الديوان: 177/1.

(٣) المرجع السابق: 124/2.

(٤) انظر: موسيقى الشعر - د/ إبراهيم أنيس 98.

(٥) المرجع السابق 101-102 (بتصرف).

(٦) الديوان: 157/2.

(٧) موسيقى الشعر - د/ إبراهيم أنيس 103.

(٨) المرجع السابق 111.

(٩) الديوان: 3/1.

أما بحر الجحث فهو من الأوزان الخفيفة التي لم تكن شائعة قديماً إلا أنه كثر النظم فيه في العصر الح ديث وخاصة في المسرحيات وكان حافظ إبراهيم من أكثر الشعراء الذين نظموا فيه في غير المسرحيات⁽²⁾ .
وذلك نحو قوله⁽³⁾:

فديسَ ظلماً حمَاهمُ
مستفعلن فاعلاتن
وكان غيرَ مدوس
مستفعلن فاعلاتن

بحر الرجز من الأوزان القصيرة التي نظم فيها حافظ تاماً نحو⁽⁴⁾.

من واجِدٍ منفِيٍّ المنـام
مستفعلن مستفعلن فعول
طريدٍ دهرٍ جائِرِ الأحكامِ
مستفعلن مستفعلن فعول

هذا النوع أي التام من الرجز المقفى بقافية واحدة يسمى المشطور⁽⁵⁾.
وقد نظم حافظ في مجزوء الرجز نحو⁽⁶⁾:

وقهرتما الباغى على
مستفعلن مستفعلن
ردّ الحقوقِ الناصعِ
مستفعلن مستفعلن

بهذا نكون قد مررنا في عجالة على معظم البحور التي نظم فيها حافظ واستشهدنا بأمثلة من بعض صورها، التي جاءت عليها. ولكن ما مدى مناسبة هذه البحور التي نظم فيها للموضوعات التي طرقها؟ ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-173هـ) واضع علم العروض إلى ارتباط كل بحر بحالة نفسية معينة تكتنف الشاعر أثناء عملية الخلق⁽⁷⁾.

(١) انظر: الموسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس 112.

(٢) انظر: موسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس- ص 127-128 (بتصرف).

(٣) الديوان: 106/1.

(٤) المرجع السابق: 197/1.

(٥) انظر: موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس 150.

(٦) الديوان: 143/1.

(٧) موسيقى الشعر العربي - د/ حسني عبدالجليل يوسف: 20/1- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1989م (بتصرف).

وقد أيد هذه الفكرة حازم القرطاجني (608-684هـ) حيث يقول: "فالعروض الطويل تجد فيه أبداً بهاءً وقوة وتجد للبسيط سباطة وطلاوة، وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة،

وللرمل ليناً وسهولة، ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء"⁽¹⁾.

فقد وجد أن اللين والسهولة التي في المديد والرمل جعلتهما أكثر مناسبة لحالة الحزن في الرثاء.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال بقوله: "فقد يقع على البحر ذي التفاعيل

الكثيرة في حالات الحزن لاتساع مقاطعه وكلماته لأناته وشكواه، محباً كان أو راثياً، أو لملاءمة موسيقاه لأغراضه الجدية الرزينة من فخر وحماسة ودعوة إلى قتال وما إليها، ولهذا كانت البحور الغالبة في الأغراض القديمة هي الطويل والكامل والبسيط والوافر. وقد تنفعل النفس أو تطرب لداع مفاجئ ، فتلجأ إلى البحور المجزوءة، أو إلى بحور الخفيف والمتقارب والرمل"⁽²⁾.

هذا ما حدث مع حافظ إبراهيم فقد أكثر من النظم في الطويل والكامل والبسيط في قصائد

المدح والتهاني والرثاء والقصائد السياسية، فتفعيلات هذه البحور الطويلة تناسب فخامة المدح ومناسبات الأمة العظيمة، كما تناسب حزن الرثاء الهادئ الذي يجيء بعدما تستقر النفس الشاعرة وتمهداً، ولكنها لم تتخلص بعد من الحزن الذي يسكن دواخلها، لذلك فهي تعبر عن الحزن بنغمات طويلة. وأيضاً تناسب هذه البحور القصائد السياسية وما تحمله من قضايا هامة، ولذلك نجد حافظاً عندما رثى الإمام محمد عبده (1266-1323هـ)، وهو من أحب الشخصيات إليه، اختار أن يرثيه بقصيدة من بحر الطويل حتى تساعده تفعيلاته الطويلة في التعبير عن مدى حزنه وألمه ويقول فيها⁽³⁾:

سلامٌ على الإسلامِ بعد محمدٍ — سلامٌ على أيّامِ الرضراتِ
على الدينِ والدنيا، على العلمِ والحجا — على البرِّ والتقوى، على الحسناتِ

لقد كان حافظ يكتب القصيدة ثم يعاود النظر إليها بعين الناقد ، ليختبر وقع موسيقاها على الجمهور وهذا يدل على أنه كان يكتب قصائده وهو في حالة نفسية مستقرة قادرة على الإتيان بهذه التفعيلات الطويلة.

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء- صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني- ص 269- تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة- ط3- دار

الغرب الإسلامي - بيروت.

(٢) النقد الأدبي الحديث- ص 467-468.

(٣) الديوان: 144/2.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور أحمد أمين في مقدمة الديوان حيث قال: " كان يطيل الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقعه في السمع، كما يتخير الانسجام فيتغنّى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس"⁽¹⁾.

وقد قال عنه أيضاً بأنه: " كان يضع البيت فير دده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس ، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقّة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فوفق في ذلك توفيقاً كبيراً"⁽²⁾.

هذا يدل على أن حافظ كان يهتم اهتماماً كبيراً بإيقاع شعره وموسيقاه .

مثلما نظم حافظ في البحور ذات التفعيلات الطويلة قصائد مدحه وراثته وشكواه والقصائد السياسية التي كان يكتبها فقد نظم أيضاً في البحور القصيرة مَثَل مجزوء الكامل، ومخلع البسيط، والمجتث، والرجز وغيرها من الأوزان القصيرة التي تعبر عن الإلحاحات النفسية القوية والسريعة، فالشاعر عندما يكون في حالة انفعال قوى من فرح أو حزن أو غضب يقع اختياره غالباً على البحور القصيرة ؛ حتى تتناسب مع حالة الاندفاع العاطفي عنده، وقد نظم حافظ في هذه البحور القصيرة في الوصف والأهاسي والمداعبات والأخوانيات نحو قوله في قصيدة كتبها تحت عنوان ذكرى وتشوق وهي من مجزوء الكامل يقول فيها⁽³⁾:

لا مِصْرُ تُنصِفُنِي ولا أنا عن مودّهما أريمُ

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى منا سبة هذه الأوزان القصيرة لحالات الانفعال النفسي السريعة حيث قال: " الحق أن النظم حين يتم في ساعة الانفعال النفساني يميل عادة إلى تخير البحور القصيرة"⁽⁴⁾.

هذه البحور والأوزان الشعرية ما هي إلا أطر تنظم وتحتوي التجربة الشعرية ومعنى هذا " أن الإطار الموسيقي يقدم لنا إيقاعات تضبط بصورة ما تجربة الشاعر، وتسيطر عليها"⁽⁵⁾.

وهذه الأوزان التي تتشكل على نغماتها القصيدة لا تنفصل عن القافية في تكوين الموسيقى الخارجية للقصيدة، كما أن القافية لا تقل أهمية عنها.

(1) مقدمة الديوان - ص 84.

(2) مقدمة الديوان - ص 90.

(3) الديوان: 173/1.

(4) موسيقى الشعر - د/ إبراهيم أنيس - ص 197.

(5) موسيقى الشعر العربي - د/ حسني عبدالجليل يوسف - 23/1.

2- القوافي:

اختلف علماء العروض في تعريف القافية "فهي عند الخليل: من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن"⁽¹⁾.

وعند الدكتور عبد الحكيم العبد: "ما اتفق العروضيون العموديون على وجوب تكراره في نهاية كل بيت في القصيدة"⁽²⁾.

وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية. فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"⁽³⁾.

وقد ذكر الدكتور شكري محمد عياد في كتابه ¹¹⁴ موسيقى الشعر العربي تعريفاً لثعلب وقال: إنه التعريف الشائع للقافية وهذا نص ما قال "إنها حرف الروي، أي الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة، وهذا التعريف قاله ثعلب، ولم يأخذ به علماء العروض بعده، ولكنه لا يزال هو المجهود الشائع للقافية، ومعظم الدواوين القديمة مرتبة أبواباً حسب حرف الروي، وهو يسمى القافية"⁽⁴⁾.

واستناداً على هذا التعريف الأخير نسبت القصائد إلى قوافيها فقبل لامية العرب وسينية البحري وهمزية شوقي⁽⁵⁾.

وعند الوقوف على قصائد حافظ التي تحدث فيها عن الأخلاق نجح أنه مثلما التزم بوزن واحد في كل قصيدة، فإنه أيضاً التزم قافية واحدة في كل قصيدة، يتكرر فيها حرف روي واحد من أول القصيدة إلى آخرها، باستثناء عدد قليل من القصائد التي حاول التنويع في قوافيها.

(1) المرجع السابق - 139/1

(2) علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقى - د/عبدالحكيم العبد- ص 132- ط3- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

(3) موسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس- ص 273.

(4) 89- ط1- يوليو 1968م- دار المعرفة - القاهرة.

(5) موسيقى الشعر العربي - د/ حسني عبدالجليل يوسف- 139/1.

كما استخدم حافظ سبعة عشر حرفاً من حروف القوافي رتبناها تنازلياً من الأكثر إلى الأقل كالتالي:

- قافية الراء (40 قصيدة ومقطوعة).
- الباء، النون (كل منها 39 قصيدة ومقطوعة).
- الميم (35).
- اللام (24).
- الدال (22).
- العين (14).
- الكاف (11).
- القاف (10).
- التاء (9).
- الهمزة (8).
- الحاء (7).
- السين والهاء (كل منهما 6).
- الياء (4).
- الألف والفاء (كل منهما 2).

115

وقد تنوعت هذه القوافي في ديوان حافظ إبراهيم بين القوافي المطلقة والمقيدة.

القوافي المطلقة:

هي (المتحركة الروى) ⁽¹⁾ وقد جاءت في ديوانه في حالات عدة:

قوافٍ مطلقة موصولة بالهاء نحو ⁽²⁾:

وقهرتما الباغى على رَدِّ الحقوقِ الناصِغِ

فلألف من كلمة (الناصره) تأسيس والصاد دخيل والعين المتحركة بالفتح هي الروى موصولة بالهاء.

قوافٍ مطلقة مؤسسه موصولة بحرف لين نحو ⁽¹⁾:

(١) العروض وإيقاع الشعر العربي - د/ عبدالرحمن ترماسين - ص 43.

(٢) الديوان: 143/1.

(حَسَنٌ) و(زُهْدِي) لم يـيـتـتـ عـ بالشَّيَابِ كَلَاهُ مَا
سَلِكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا !
الألف في كلمتي (كلاهما وأولاهما) تأسيس، والهاء دخيل، والميم المتحرك بالفتح الروي وهو موصول
بحرف لين وهو الألف.

القوافي المقيدة:

وهي " الساكنة الروي"⁽²⁾ وقد جاءت أيضاً في ديوان حافظ على حالات عدة.
قواف مقيدة مؤسسة نحو⁽³⁾:

لا يستشيرُ سوى العزيرِ —————
ممة في المواردِ والمصادرِ

الألف في كلمة (المصادر) تأسيس والبدال المتحركة دخيل والراء الساكنة هي الروي.
- قواف مقيدة مجردة من الراء والتأسيس نحو⁽⁴⁾:

ربيتهنَّ على الفضيرِ —————
للة والطَّهارةِ والخفرِ

الراء الساكنة في كلمة (الخفر) هي الروي، وقد جاءت خالية من الراء والتأسيس.
قواف مقيدة مردوفة نحو⁽⁵⁾:

شاكى سلاحِ الصريرِ مم —————
تحنُّ لدنياه لبيبُ

الياء في كلمة (لبيب) ردف والباء الساكنة هي الروي.

كما لجأ حافظ إلى التنويع في قوافي عدد يسير من قصائده فقد جاء بقصيدة من الممكن أن
ندخلها في المربع وهي بعنوان نشيد الشبان المسلمين وقام فيها بتكرار قافية الشطر الرابع في كل مقطع
من مقاطع القصيدة وذلك نحو⁽⁶⁾:

(١) المرجع السابق: 207/2.

(٢) العروض وإيقاع الشعر العربي - د/ عبدالرحمن تيرماسين - ص 43.

(٣) الديوان: 294/1.

(٤) المرجع السابق: 193/2.

(٥) المرجع السابق: 215/2.

(٦) المرجع السابق: 315/1.

وذودوا عن تراثِ المسلمينا
ونحن بنو الغزاةِ الفاتحي—نا
وخلدنا على الأيِّمِ ذكـرى
كذلك كان عهدُ الراشدينَا
وباتَ الناسُ في عيشٍ رغيـدٍ
وكان شعارنا رفقااً ولينَا

أعيدوا مجدنا دنيا ودين—ا
فمن يعنو لغيرِ الله في—نا
ملكنا الأمرَ فوق الأرضِ ده—را
أتى (عمرٌ) فأنسى عدلَ (كسرى)
حيننا السُّحبَ في عهدِ الرشـيدِ
وطوقت العوارفُ كلَّ ج—يدِ

وقد حاول حافظ إبراهيم أن يجدد أيضاً في شكل القصيدة فكتب منظومة تمثيلية، استوحاها من ضرب الأسطول الإيطالي لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك في عام 1912م وقد فرض هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت وزوج له اسمها ليلي وطبيب ورجل عربي وقد نوع حافظ في قوافي هذه المنظومة ويقول في جزء منها⁽¹⁾:

ليلي:

من الردى لفديتُ
بمهجاةٍ لوقيتُ
كما نويتَ نويت

لو تُفتدى بجياتي
ولو وقاك وفي
إن عشتَ أو متَّ إنني

117

الجريح:

إذا الحممُ دَعَانِي
مع دودةً بالثَّوَانِي
فَقَوَى حشاشةً فَنَانِي

(ليلاي) عيشي وقري
(ليلاي) ساعاتُ عمري
فكفكفي من دم—وع

عيوب القافية:

عشت على بعض الأخطاء التي تخص القوافي في ديوان حافظ إبراهيم وأنا هنا أورد شيئاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

1- الإيطاء:

"هو أن يكرر الشاعر الكلمة التي تأتي في نهاية البيت بلفظها قبل سبعة أبيات " ⁽²⁾ وقد ورد في قصائد حافظ التي تحدث فيها عن الأخلاق⁽¹⁾:

(١) الديوان: 71/2.

(٢) موسيقى الشعر - د/ حسني عبد الجليل - 145/1.

ولا يهؤذى العشيرَ ولا يمين
فما حامت حوَالِيهِ الظنون
ولم تخنثُ لَهُ أبداً يمين

نبيلَ الطَّبَعِ لا يَغْتَابُ خ—— لا
تطوعَ فِي الجهادِ لوجهِ (مصر)ِ
ولم يهينِ الوعيدِ لَهُ عناناً

2- سناد التوجيه:

"هو اختلاف التوجيه: يعني اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد أي الساكن (2) " نحو (3):

ولم تستبخ هفوةً فِي الكبرِ
لقد فدارَ هذا وهذا حسِرُ

فلم تستبدقْ نزوةً فِي الصَّبَا
اهنى الثرى أما أعزى الورى

3- الإقواء:

" هو الجمع فِي المجرى بين حركتين مختلفتين فِي قصيدة واحدة" (4) نحو (5):

أحسبُ الحاضرَ يطرى أو يذمُّ
مثلَ ما كنتم أسوداً فِي أجـم

أنا لا أفخرُ بالماضي، ولا
كلُّ همى أن أرام فِي غدٍ

كما أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى بعض أخطاء حافظ إبراهيم وتجاوزاته فِي استعماله بعض حروف القافية فكاف الخطاب عندما¹⁸ استعمل رويًا يشترط فيها أمرين إما أن يسبقها حرف مد أو أن يلتزم بالحرف الذي قبلها ولكن حافظ فِي إحدى مقطوعاته استعمل كاف الخطاب رويًا وأهمل شروط استعماله فجاءت موسيقاه ناقصة⁽⁶⁾. وذلك نحو (7):

إذا رأينا فِي الكرى طيفكا
قالوا فلانٌ قد غدا عبدكأ؟
ما حرموا رقَّ الهوى عندكأ
وأنت فِي الأحشا مراحٌ لكأ

ظبي الحمى بالله ماضرٌ كما
وما الذي تخشاهُ لو أنهم
قد حرموا الرقَّ ولكنههم
وأصبحتُ مصرُ مراحاً لهم

(1) الديوان: 243/2.

(2) العروض وإيقاع الشعر العربي - د/ عبدالرحمن تيرماسين - ص 46.

(3) الديوان: 209/2.

(4) العروض وإيقاع الشعر العربي - د/ عبدالرحمن تيرماسين - ص 45.

(5) الديوان: 254/2.

(6) موسيقى الشعر - د/ إبراهيم أنيس 280 (بتصرف).

(7) الديوان: 248/1.

ما كان سهلاً أن يروا نيله— لو أن في أسيفنا لحظك—
بهذا نكون انتهينا من مكونات الموسيقى الخارجية في شعر حافظ إبراهيم لنتقل إلى النوع الثاني من
الموسيقى.

النوع الثاني: الموسيقى الداخلية:

وهي متمثلة في: "أصوات الحروف وجرس الكلمات المتساوية الطول والمتناغمة المقاطع
والمنسجمة في الحروف"⁽¹⁾. فهي تنشأ من التجانس بين الكلمات والتواؤم بين حروفها وأصواتها.
وهي " النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصور، بين وقع الكلام، والحالة النفسية للشاعر، أي أنها
مزاوجة تامة بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقى"⁽²⁾.
" فالنغم الداخلي يأتي صدى للمحتوى النفسي، أو موسيقى اللفظ، فهي تعبير عن هواجس الإحساس
وعمقه، وكلما كانت الموسيقى عذبه، كانت أقرب إلى محتوى النفس، وهاجس الشعور وأصالته"⁽³⁾.
وهذا يدل على أن العمل الأدبي عبارة عن حالة نفسية معينة يحاول الشاعر إيصالها إلى المتلقى،
ويساعده على ذلك ما تحمله كلماته من نغم وموسيقى. وقد زخر ديوان حافظ إبراهيم بهذه الموسيقى
الداخلية وسوف أورد بعض الأمثلة البسيطة على ما جاء في ديوانه منها.

1- التصريع:

" وهو جعل العروض مقفاة تقضية الضرب"⁽⁴⁾ وعلى نفس وزنه نحو(5):
صدفتُ عن الأهواءِ والحُرُّ يصدفُ 119 وأنصفتُ من نفسى وذو اللبِّ ينصفُ
عروض الشطر الأول (يصدف) جعلت كضرب الشطر الثاني (ينصف).
ومنه أيضاً⁽⁶⁾:

يا دولة القواضبِ الصِّقالِ وصولَةَ الذَّوابِلِ الطُّوالِ
عروض الشطر الأول (الصقال) جعلت كضرب الشطر الثاني (الطوال).

2- رد الإعجاز على الصدور:

(1) فلسفة الإيقاع في الشعر العربي - د/ علوي الهاشمي - ص 37.
(2) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر - د/ عبد الحميد جيدة - ص 352 - دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع - 1986م.
(3) التجديد في الشعر الحديث - د/ يوسف عز الدين - ص 78 - ط 1 - 1406هـ - 1986م - دار البلاد - جدة.
(4) الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني - ص 222 - اعتنى به وراجعها عماد الدين بسبوني.
(5) الديوان: 21/1.
(6) المرجع السابق: 31/1.

" أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني" (1) نحو (2):

إذا ثارَ في يومِ الوغى مالَ منكبٌ
من الأرضِ والأطوادِ وانحالَ منكبٌ
فقد جاء بكلمة (منكب) في آخر الشطر الأول وأعادها في آخر الشطر الثاني.
ومنه (3):

لا تقيدوا من أمةٍ بقتيلٍ
صادت الشمسُ نفسه حينَ صادا
جاء بكلمة (صادت) في أول الشطر الثاني وأعادها مع تحوير بسيط في آخر الشطر نفسه (صادا)

3- الجناس:

" الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ واختلافهما في المعنى (4) ، نحو (5):
فالعرشُ في فرحٍ، والملكُ في مرحٍ،
والخلقُ في منحٍ، والدهرُ في رهبٍ
وقع الجناس في كلمتي فرح و مرح حيث إن الاختلاف في اللفظين لم يقع إلا في حرف واحد وهو
الحرف الأول من كلا الكلمتين وهذا يسمى جناس لاحق أو مضارع.
ومنه (6):

أمةُ الرِّئِلِ أكبرت أن تُعْـادِي
من رماها وأشفقت أن تُعْـادِي 120
الجناس وقع في كلمتي (تعادى وتعادى) وهو جناس محرف لأن الاختلاف وقع في حركة الدال فقط.

4- الطباق:

هو " الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة" (7) نحو (1):

(1) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني- ص 218 اعتنى به وراجعته عماد الدين بسبوني.

(2) الديوان: 17/1.

(3) الديوان : 20/2.

(4) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني-ص 215- اعتنى به وراجعته عماد الدين بسبوني.

(5) الديوان: 14/1.

(6) المرجع السابق: 21/2.

(7) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني - ص 190- اعتنى به وراجعته عماد الدين بسبوني.

فليس لهم في البرّ والبحرِ مهربُ

ملكْت عليهم كلَّ فحجٍّ ولجّةٍ

التضاد وقع بين (فحج ولجه) و(البر والبحر) وجميعها أسماء.
ومنه⁽²⁾:

لا تُبالي غابَ عنها أم حضرُ

ورجالُ تنبارى للرّدى

التضاد وقع بين الفعلين (غاب وحضر).
ومنه⁽³⁾:

—مة في الموارد والمصادر

لا يستشيرُ سوى العزير—

التضاد وقع بين اسمين هما الموارد والمصادر.

كل ما درسناه في هذا المبحث من وزن وقافية وموسيقى داخلية يتضافر مع بعضه البعض ليخلق جواً إيقاعياً خاصاً لشعر حافظ إبراهيم والذي يزيد من جمال موسيقى شعره هو إلقائه وجمال صوته في الإنشاد فقد كان حافظ قوى الإنشاد جهور الصوت قادر على أن يضيف لموسيقى القصيدة جمالاً وبهاءً⁽⁴⁾.

ولكن ما الذي يقف خلف هذه الأوزان والقوافي والموسيقى الداخلية؟

إن الذي يقف خلفها ويكونها هي اللغة التي هي عبارة عن مفردات وأساليب الشاعر لذلك

ستكون اللغة هي محطتنا التالية والأخيرة في هذا البحث.

(١) الديوان: 17/1.

(٢) المرجع السابق: 300/1.

(٣) المرجع السابق: 294/1.

(٤) انظر: موسيقى الشعر - إبراهيم أنيس 183.



المبحث الثالث

اللغة

اللغة

اللغة "وسيلة للتعامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقى"⁽¹⁾ وهي وسيلة الشاعر لنقل أحاسيسه ومشاعره وأفكاره للآخرين، لكن لغة الشعر لغة خاصة تختلف عن غيرها سواء اللغة المحكية أو لغة الكتابة النثرية "فلغة الشعر لغة العاطفة، ولغة النثر لغة العقل، ذلك أن غاية النثر نقل أفكار المتكلم أو الكاتب، فعباراته يجب أن تشف في يسر عن القصد، والجمل فيه تقريرية، وعلامات على معانيها، ووسائل تنتهي بانتهاء الغاية منها، وموضوعه حدث من الأحداث أو مسألة من المسائل المبنية أولاً على الفكر. أما الشعر فإنه يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعوراً يتجاوز هو معه، فيندفع إلى الكشف فنياً عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور، وفي لغة هي الصور"⁽²⁾.

ومن هنا تظهر لنا العلاقة القوية بين اللغة والصورة الشعرية هي كل ما ظهر لنا سابقاً في

مبحث الصور الفنية من استعارات وتشبيهات ومجازات وكنائيات، وهي ما تحدثنا عنه في مبحث الموسيقى من وزن وقافية وموسيقى داخلية، هي كل ذلك متضافراً مع بعضه البعض. وقد أكد ذلك الدكتور جمال نجم العبيدي حيث قال: "إنّ للشعر لغة خاصة والمميزة، وإن هذه اللغة تتسم بسمات كثيرة تتمثل في الجانب الدلالي والجانب العروضي والجانب الموسيقي وطريقة تركيب الكلمات وصوغها في قالب شعري، وإعطاء الكلمة دلالات واسعة تفوق دلالتها في الاستعمال النثري، ذلك أن الكلمة في الشعر تكتسب وضعاً خاصاً باستخدام الشاعر لها في ذلك المكان، ولهذا فإنّ الشاعر يقوم بعملية تطويع اللغة ليخضعها لغرضه ويستخدمها استخداماً خاصاً"⁽³⁾.

ليس هناك لغة خاصة بالشعر وأخرى خاصة بالنثر، "إنما لغة كل شاعر حقيقي صبغة حميمة بينه

وبين الواقع الذي يتعايش معه ويلتحم به، وبعبارة أخرى هي صبغة بين لحظة الإبداع ولحظة الوعي بالعالم الخارجي"⁽⁴⁾. فالشاعر يستعمل المفردة ويخضعها لتجربته ويصبغها بأحاسيسه ومشاعره، ويكسبها معاني وظلال جديدة "فاللفظ العادي قد يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري أو صورة بيانية"⁽⁵⁾.

(1) علم اللغة العربية - د/ محمود فهمي حجازي - ص 10 - وكالة المطبوعات - الكويت.

(2) النقد الأدبي الحديث - د/ محمد غنيمي هلال - ص 377.

(3) لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجري - ص 27 - دار زهران - 2003م - عمان.

(4) شوقي وحافظ وأوليات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة. - د/ عبدالعزيز المقالح - ص 209 - فصول.

(5) الأدب وفنونه - د/ محمد مندور - ص 39.

هذه الألفاظ والمفردات يختارها الشاعر بعناية للإفصاح والتعبير عن أفكاره ومعانيه التي يريد إيصالها للمتلقي، فكل شاعر لديه هم يسلط الضوء عليه وقضيه يدافع عنها. وحافظ إبراهيم كان وطنه ومجتمعه هو همه وقضيته الأولى ، فقد أخذ على عاتقه الدعوة إلى التكافل الاجتماعي، وإلى الصبر وقوة العزيمة والوفاء والشجاعة والتأخي وترك التواكل وعدم السكوت على الظلم، وغير ذلك من الفضائل الخلقية التي من شأنها إصلاح المجتمع والارتقاء به، فهو يرى أن " أمته لا بد لها من سلاح، لا بد أن تتسلح للمستعمر بالعلم وبالخلق القوي، ولا بد أن تتخلص من كل ما يفت في عضدها من نقائص ومعائب. فليصرخ حافظ هنا وهناك حتى يستنهض همة شعبه حتى يحفزها إلى ما يريد من نهضة قوية"⁽¹⁾. ولكن كيف كان تناول حافظ لهذه المعاني السامية والأفكار الراقية؟

الأفكار والمعاني:

سيغم أن المعاني التي اختارها حافظ جليلة وسامية إلا أن تناوله لها كان بسيطاً ساذجاً خالياً من العمق وذلك يعود إلى توقفه عند صرور القدماء دون أن يضيف لها أي جديد - كما ذكر سابقاً في مبحث الصور الفنية - فهو لم يبتكر ولم يجدد كما أنه كان يهتم باللفظ أكثر من اهتمامه بالمعنى وقد أكد ذلك الدكتور عبد الحميد سند الجندي حيث قال: " وكان حافظ يعنى أشد عناية بتوفير عناصر الجمال اللفظي لشعره، وكان احتفاله بالمعنى لا يساوي شيئاً بجانب احتفاله باللفظ"⁽²⁾. فاحتفال حافظ بالألفاظ واهتمامه بجرسها ووقعها في الأذن جعله يغفل عن المعاني والتعمق فيها.

والمفردة تخضع لمدى قدرة الشاعر على تطويعها لخدمة معانيه ولخدمة نصه، واستخدامه لها قد يضيف لها معاني وظلال جديدة، وقد يجعلها تقف عند معناها الحرفي الذي تدل عليه، عندما ينظر إليها كلفظ مفرد لم يدخل في أي تركيب. وقد أشار إلى ذلك عبدالقاهر الجرجاني عندما قال: "إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ"⁽³⁾. وحافظ عند تناوله للأخلاق لن أقول بأنه تناولها كما يتناولها غيره من الشعراء، سواء شعراء العصور القديمة أو العصر الحديث، إنما تناولها كما يتناولها الإنسان العادي، " فمعاني حافظ أكثر

(١) فصول في الشعر ونقده - د/ شوقي ضيف - ص 354 - ط2 - دار المعارف.

(٢) حافظ شاعر النيل - ص 100.

(٣) دلائل الإعجاز - ص 46.

قرباً من ظاهر نعرفه، وهو ظاهر مدرك، على مستويات متعددة، يصل إلى حد الإيهام " بالعمومية المعنوية"⁽¹⁾ ومهمة الشعراء ليست عرض المعاني كما هي إنما مهمتهم " أن يضيفوا إلينا محصولاً جديداً من الخبرات النفسية ومشاعر أعمق من مشاعرنا العادية"⁽²⁾ فحافظ مثلاً في قوله⁽³⁾:

سنجمعُ أمرنا وترون منا
لدى الجلى كراماً صابرينا

ماذا أضاف حافظ للصبر في هذا البيت ؟ لقد توقف عند المعنى الحرفي الإشاري للصبر ولم يحاول تحميل هذه الفضيلة أي شيء من خبراته ومشاعره، ولم يتعمق في معنى الصبر. وكذلك قوله في إحدى مرثيته⁽⁴⁾:

قضيت حياةً ملؤها البرُّ والتقوى
فأنت بأجـرِ المتقينَ جديرٌ

فعندما تناول التقوى - أيضاً- توقف عند معناها الحرفي الإشاري ولم يحاول التعمق في معنى التقوى بسخم أنها من الفضائل الروحية التي تفتح مجالاً واسعاً للشاعر للإفضاء بخلجاته ومكوناته تجاه خالقه، وحافظ لما كان شاعراً مسلماً، ومستشعراً لمعنى القرب من الله كان من الأجدر أن يضيف للتقوى شيئاً من تجاربه النفسية واعتقاداته الدينية. وكذلك في قوله⁽⁵⁾:

فتذكرتُ به يومَ انطوى
صادقُ العزيمةِ كشافُ الكروبِ

فحافظ في هذا البيت يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) بقوة العزيمة وبرغم أن الإمام رجل دين ومتوفى، وكان من أقرب المقربين لحافظ إلا أن حافظاً عندما وصفه بقوة العزيمة وقف أيضاً عند المعنى الحرفي الإشاري لها ولم يحاول التعمق في معناها من خلال تجاربه ومواقفه مع الإمام، ومن خلال عمل الإمام الديني والسياسي في فترة الاستعمار على وجه الخصوص. كل ذلك لم يستغله حافظ لتعميق فكرته وإيضاف ظلال أوسع وأرحب على قوة العزيمة.

وقد وصف الدكتور عبدالعزيز المقالح لغة حافظ بأنها لغة قاموسية باردة من خلال تعليقه على إحدى قصائده في رثاء قاسم أمين (1865-1908م) بعد أن أكد على اختياره لها بشكل عشوائي حيث قال: "هذه اللغة القاموسية الباردة الجامدة المنقولة من الكتب كما تنقل الأحجار القديمة من المباني

(1) شعر الوجدان عند حافظ وشوقي - د/ حلمي بدير 231- فصول- المجلد الثالث- العدد الثاني- يناير- فبراير- مارس- 1983م.

(2) الأدب وفنونه - د/ عز الدين إسماعيل- ص 99- ط8 - دار الفكر- القاهرة.

(3) الديوان: 107/2.

(4) المرجع السابق: 165/2.

(5) المرجع السابق: 204/2.

المتهدمة لتستخدم في إقامة مبان أخرى. حقاً إن الاستخدام الشعري للقاموس اللغوي هو ما يفرق بين الشاعر الكبير والشاعر الصغير، وما يفرق بين الشاعر وغير الشاعر، فالاستخدام الشعري يخلع على اللغة إحساساً نابضاً بالحيوية ويعطيها ظلالاً لم تكن لها من قبل"⁽¹⁾.

والحقيقة أن حافظاً في معظم الفضائل التي تناوها اتسم بالبساطة والسطحية، وذلك يعود إلى أن حافظاً يتناول المعنى مستقلاً عما قبله وبعده، بمعنى أن المعاني عنده لا تأتي نتيجة لتطور الموقف النفسي الذي دعاه للكتابة، وبمعنى آخر أنه حرم نفسه من أن يكون لديه تصاعد انفعالي أثناء عملية الخلق، ولعل الذي أدى به إلى ذلك أنه كان يكتب كل بيت أو بيتين على حدة، أو في فترات نفسية متباعدة، ثم يقوم بجمع الأبيات التي يستسيغها ويضم بعضها إلى بعض. وبهذا تفقد القصيدة التصاعد النفسي والانفعالي الذي يجب أن يربط بينها، والذي يعمل على تعميق معاني الشاعر وأفكاره. ولعل هذا ما جعله يقع في فخ التكرار، فقد كان يعرض لمعاني قد سبق له تناولها في أجزاء أخرى من القصيدة كما أوقعه في التشابه، فقد كان يصف الشخصية بصفات معينة ثم نجده في قصيدة أخرى يذكر نفس الصفات أحياناً بنفس الألفاظ لنفس الشخصية أو شخصيات أخرى"⁽²⁾.

انظر - مثلاً - قوله في مصطفى كامل بمدحه بالشجاعة"⁽³⁾:

هنا الكميُّ الذي شادت عزائمه لطالبِ الحقِّ ركنا ليس ينهدم

وبعد هذا البيت باثنين وثلاثين بيتاً عاد ليصفه مرة أخرى بنفس الصفة حيث يقول"⁽⁴⁾:

قد كان لا وانياً يوماً ولا وكلا يستقبل الخطب بساماً ويقتحم

كما نجده يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) بصفات ثم يصف مصطفى كامل (1874-1908م) في قصيدة أخرى بنفس الصفات ونفس الألفاظ حيث يقول في الإمام"⁽⁵⁾:

كثيرُ الأيادي، حاضرُ الصَّفح، منصفُ كثيرُ الأعادي، غائبُ الحقدِ، مسعفُ

ويقول يصف مصطفى كامل"⁽⁶⁾:

لك اللهُ يا (مصطفى) من فدى كثرِ الأيادي، كثيرِ العدا

(1) شوقي وحافظ وأوليات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة-د/ عبد العزيز المقالح- ص 210- فصول.

(2) الأدب وفنونه- د/ عز الدين إسماعيل- ص 98-99 (بتصرف).

(3) الديوان: 163-160/2.

(4) المرجع السابق: 163/2.

(5) المرجع السابق: 22/1.

(6) المرجع السابق: 263/1.

ونجده يصف المهاجرين الشاميين في أكثر من قصيدة بنفس الصفات حيث يقول في وصفهم بقوة العزيمة⁽¹⁾:

إن ضاق ميدانُ سبق من عزائمهم
صاحت بهم فأروها ألف ميدان
لا يستشيرون إن همًّا سوى همم
تأبى المقام على ذل وإذعان
ويقول في قصيدة أخرى⁽²⁾:
بمضى—ى ولا حيلة إلا عزيمته
وينثنى وحلأه المجدُّ والذَّهـبُ
يكرُّ صرفُ الليالي عنه منقلبا
وعزمه ليس يدري كيف ينقلبُ
لم يحمم علم فيها ولا عدُّ
سوى مضاءٍ تحامى ورده النوبُ
ويقول في أخرى أيضاً⁽³⁾:

127

يمتطون الخطوبَ في طلب العيبِ —ش ويبرون للنضال السهاما

وجميع هذه الأمثلة تدل على عدم حرص حافظ على الاحتفاء بالمعاني المبتكرة والألفاظ الموحية حتى أصبح شعره مكرراً. وهذا يعود فيما يبدو إلى أن حافظاً لم يكن واسع الثقافة ولم يكن يتعمق فيما يقرأ، فقراءته للعقد الفريد والأغاني ودواوين الشعراء القدماء لا تجعله مثقفاً. وقد أشار إلى ذلك الدكتور طه حسين بقوله: "لم يكن حافظ فقيهاً بالأدب العربي إذا توسعنا في معنى هذا الأدب . لم يكن يحسن علوم العرب ولا فلسفتهم، بل لم يكن يعرف من هذه العلوم والفلسفة شيئاً. إنما كانت ثقافته من كتاب الأغاني ودواوين الشعراء، وكان يفهم الأغاني والدواوين بقدر ما يستطيع، فيصيب كثيراً و يخطئ أحياناً"⁽⁴⁾.

وذكر الأستاذ العقاد أن حافظاً كان "وسطاً بين المطلعين على الآداب العربية وحدها والمتوسعين في قراءة الآداب الأوروبية، فلا تجد بين جاهليها أحداً أشبه منه بمن يعرفونها. فلو أننا أردنا أن نختار شاعراً يصفح بيديه الاثنین هؤلاء وهؤلاء لما كان ه ذا الشاعر أحداً غير حافظ إبراهيم"⁽⁵⁾.

(١) المرجع السابق: 137/1-138.

(٢) الديوان: 270/1.

(٣) المرجع السابق: 317/1.

(٤) حافظ وشوقي - د/طه حسين - ص 197.

(٥) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي - ص 17-3-1965م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

وهذا يدل على أن حافظ لم يكن مثقفاً ولم يكن جاهلاً إنما هو في منزلة متوسطة بين الجهل والثقافة.

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أن: "حافظ كان ضيق الثقافة بالقياس إلى البارودي، وكان أشد ضيقاً بالقياس إلى معاصريه من أمثال شوقي ومطران اللذين كانا يتقنان الفرنسية وآدابها، مما أفادت منه طبيعتهما الأدبية إفادة واسعة. أما هو فكان محدود الثقافة واضطرتته إلى ذلك ظروف مادية قاسية"⁽¹⁾.

ولقد ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندي أن ثقافة حافظ البسيطة هي السبب في مجيء شعره ضحلاً لا عمق فيه حيث قال: "وقد انضم إلى هذه الطبيعة البسيطة ثقافة سطحية وقلة تعمق للمسائل وعدم اطلاع على ثقافات الأمم الأخرى في سعة واستقصاء، فجاء شعره ضحلاً لا عمق فيه. ومن أجل هذا لا نجد فيه كثيراً من أبيات الحكمة التي تجرى على الألسن، والتي تنبئ عن عمق النظر في الحياة وفلسفها. ومن أجل هذا أيضاً كانت السطحية من أبين خصائص شعره"⁽²⁾.

أما الدكتور محمد بن سعيد بن حسين فقد قال: "ونحن مهتماً قلنا عن ثقافة حافظ وحاولنا التماس نماذج من شعره، فإنها تتضاءل كلما قارناها بالمركز الذي وضع المجتمع فيه حافظ أو قارناها بثقافة الآخرين"⁽³⁾.

ومن خلال هذه الآراء حول ثقافة حافظ نلاحظ أن هناك شبه إجماع على أن حافظاً ليس من ذوي الثقافة العالية، بل إن البعض وصفه بسطحية الثقافة، وقد نتساءل كيف استطاع حافظ أن يصل إلى هذه المكانة الرفيعة وهناك شبه إجماع على قلة ثقافته؟

هذا يعود - فيما أرى - إلى الإعلام المصري القوي الذي خدم حافظ إبراهيم في تلك الفترة، فشعره شعر مناسبات اجتماعية يلقي في هذه المناسبات مع وجود حشد من أهم الشخصيات السياسية والإعلامية، وقرب حافظ من عدد من الشخصيات المهمة في مصر أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وحسين كامل وقاسم أمين. وهؤلاء على سبيل المثال لا الحصر فتحوا أمامه مجالاً واسعاً كي يعرف في الأوساط الإعلامية التي جعلت منه شاعر النيل العظيم، فالإعلام قد يجعل من أنصاف المتعلمين مثقفين ويجول اللصوص والخونة إلى مناضلين وطنيين وقد يجعل من نساء الحانات سيدات مجتمع. لذلك لا غرابة في أن يصنع من حافظ إبراهيم شاعراً عظيماً.

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر- د/ شوقي ضيف - ص 105.

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل- ص 101.

(٣) حافظ إبراهيم ونظرات في شعره- ص 63.

بالإضافة إلى أنه كان يتحدث عن قضايا ومشكلات اجتماعية وسياسية مهمة تعني للشعب شيئاً كثيراً، وهذا أيضاً مما يلفت نظر الإعلاميين والمتلقين العاديين إلى شعره. ومن ما يتبع عدم ثقافة حافظ عدم جرأته على طرح آرائه من خلال أشعاره، فقد كان عندما يعرض لموضوع معين يقف منه موقف الحياد دون أن يدلى برأيه تماماً كما فعل مع قاسم أمين عندما كتب عن دعوته في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) ، وكان ذلك طبيعياً لأن حافظاً لم يطلع على كتابي قاسم أمين ولم يع تماماً دعوته فكان أسلم طريق له أن يكتب بحيادية، وأن يصفه بأوصاف عامة من الممكن أن يتصف بها أي شخص آخر. وكذلك عندما كتب عن ذكرى شكسبير فقد وصفه بأوصاف عامة، ولو كان قرأ لشكسبير وعلم جيداً من هو شكسبير ما جاء حديثه عنه بهذه السطحية. إن حافظاً - كما يظهر - كان يكتب عن تجربة هي خارج ذاته وخارج انفعالاته، فتصبح كتابة الشعر عنده أداء واجب ومجرد رصف ¹²⁹الكلمات وكلمات ذات موسيقى قوية، لكنها لا تتجاوز الآذان لأنها خالية من الداخل، إذ أن هذا يؤثر على إيقاع الشعر . فهناك نوعين من الموسيقى موسيقى سطحية مصنوعة وهذه تماماً تنطبق على شعر حافظ وموسيقى تنبع من النفس لتنتقل إلى صميم النفس⁽¹⁾.

وهذا النوع من الموسيقى يساعد على تعميق المعاني كما أنه يكون أبلغ أثراً في المتلقي. وقد أشار إلى ذلك شكيب أرسلان (1869-1946م) وهو أحد شعراء المدرسة التقليدية إذ يقول: " وإذا تغلغل الشاعر في أنحاء النفس وأنحاء القلب، وهام في أودية الانفعال أخذ يؤدي من هناك ما يلقيه إليه مضاعفاً: هوى ملح وشوق هاف وحب شاغف، وتمنّ واصب، وتوسل هالع، ورغبة ورهبة، وإيمان كإيمان العجائز، ثم آب من أودية إحساساته وأعطاف فراساته - مفضياً بذلك إلى سامعيه- أشجى وأصبى وأرقص وأبكى"⁽²⁾.

فالموسيقى التي تخلفها الانفعالات النفسية والخلجات الداخلية أقوى أثراً لدى المتلقي لأنها تصل من القلب إلى القلب، وكما قيل - سابقاً - أن لغة الشعر هي لغة العواطف والأحاسيس. " فالشعر الجيد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفه .مرآة تمثل هذه العاطفة تمثيلاً فطرياً بريئاً من التكلف والمحاولة، فإذا خلعت نفس الشاعر من العاطفة، أو عجزت هذه العاطفة عن أن تنطق لسان الشاعر بما يمثلها فليس هناك شعر، وإنما هناك نظم لا غناء فيه"⁽³⁾.

(١) الأدب وفنونه-د/ عز الدين إسماعيل- ص98 (بتصرف).

(٢) في الأدب الحديث- د/ عمر الدسوقي : 2/227- مصوره عن ط1- 1420هـ/2000م- دار الفكر العربي- القاهرة.

(٣) حافظ وشوقي- د/ طه حسين- ص 109.

والشاعر الجيد يعبر عن تجربته وانفعالاته النفسية من خلال خياله فنعمة الخيال هي التي تجعل الشاعر يتعمق في المعاني، ويكسبها هالة من الخصوصية. "والخيال: سمة بارزة من سمات الأسلوب الأدبي، لأنه يصور العاطفة وينقلها إلى السامع أو القارئ، ويبرز المعاني ويضفي عليها ثوباً زاهياً فنقلها ونفهمها. ويلجأ إليه الأديب للإيضاح وحسن العرض وقوة الإبانة والتصوير، ويرى القارئ، والسامع الحقائق من أثناء كل ذلك عن طريق خياله"⁽¹⁾.

ولكن حافظ حرم هذه الموهبة الربانية وفقدتها أدى إلى عدم قدرته على التعمق في المعاني والغوص فيها فلخيال "موهبة تنفذ بروح الأديب إلى أسرار الوجود، واكتناه الحقائق المستكنة ، وراء مظاهر الأشياء وتجعله يحلق طليقاً في أجواء وعوالم جديدة مليئة بالرؤى الجذابة والصور الخلابة والموسيقى الساحرة. وهذه الموهبة تتباين قوة وضعفاً وضيقاً واتساعاً، وغنى وفقراً لدى الأدباء بحسب قدرتهم على استيعاب أسرار الحياة وهتك حجب المادة، والوصول إلى ينابيع الإلهام، وقدرة نفوسهم على التوليد والتفاعل مع الحياة وانعكاسها"⁽²⁾.

جميع هذه الأسباب السابقة أدت إلى عدم قدرة حافظ على الغوص والتعمق في المعاني وبالتالي جاء تناوله للأخلاق سطحياً ساذجاً خالياً من أي عمق.

مع هذه السطحية والبساطة استطاع حافظ أن ينقلنا إلى عالم لا يشبه عالمه الداخلي ولكنه يشبه عالمه الخارجي إلى حد كبير . فقد قال الدكتور جمال نجم: " أن الشاعر يختار في عمله الكلمات ذات الأثر الفني في نقل المستمع أو القارئ إلى الأجواء الشعرية التي عاشها الشاعر"⁽³⁾.

فحافظ نقل لنا من خلال شعره كل ما رآه وعاشه فقد كان رجلاً عادياً، من أسرة بسيطة عاش في حي الفقراء ورأى معاناتهم ومشاكلهم اليومية، لذلك حث في شعره على التكافل والزكاة ومساعدة المحتاجين، ولأن مصر كانت تعيش فترة حرب واستعمار فقد حث على الشجاعة والصبر وقوة العزيمة والعدل، ولأنه كان وحيداً وبلا أسرة فقد حث على الوفاء والصدق بين الأصدقاء.

(١) في الأدب الحديث - د/ عمر الدسوقي : 329/2.

(٢) في الأدب الحديث - د/ عمر الدسوقي : 329/2.

(٣) لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجري- ص 21.

المعجم الشعري:

عند الوقوف على المعجم الشعري لحافظ إبراهيم وأقصد به الألفاظ التي تخص الجانب الأخلاقي في شعره نجد أنه في حديثه عن التكافل جاء ببعض الألفاظ القديمة نحو (العفاة) في قوله⁽¹⁾:

غياثِ العفاةِ مزيل الكُـرْبِ

ونجد أنه في حديثه عن التكافل كرر استخدام عدد من الكلمات التي تدرج ضمن الحقل الدلالي للتكافل نحو (البر، الاحسان، العفاة، كثر الأيادي، العمل الصالح، الأجر، إقالة العثار). ومن أمثلتها قوله⁽²⁾:

وفي ساحةِ الإحسانِ والبرِّ موقوفُ

وقوله⁽³⁾:

كثيرُ الأيادي، حاضرُ الصَّفْحِ، مُنْصِفٌ

وقوله⁽⁴⁾:

بأنَّ هذا عملٌ صالحٌ

وقوله⁽⁵⁾:

بفضلِ الزَّكَاةِ والإِنْعَامِ

وقوله⁽⁶⁾:

إنَّ خيرَ الأجرِ أجرُ مدَّحِرٍ

وقوله⁽⁷⁾:

وكم أقلتَ كريماً عند عشرته

كما نجده في حديثه عن الشجاعة جاء بكثير من الألفاظ القديمة نحو قوله (الأروع، الصنديد، الكمي، الغرار، الصارم، البيض، القضب) ومن أمثلة ذلك قوله⁽⁸⁾:

(١) الديوان: 177/1.

(٢) المرجع السابق: 23/1.

(٣) المرجع السابق: 22/1.

(٤) المرجع السابق: 297/1.

(٥) المرجع السابق: 287/1.

(٦) المرجع السابق: 301/1.

(٧) المرجع السابق: 236/2.

(٨) المرجع السابق: 81/2.

من كلُّ أروع فاتـكـ
وقوله⁽²⁾:

لا يستشير سـوـى الغرار⁽¹⁾

والحربُ تضربُ صنديداً بصنديدٍ

كم وقفه لك والأبطال طائرة

وقوله⁽³⁾:

هنا الكمى الذي شادت عزائمه

وقوله⁽⁴⁾:

حياتي، وأما صارمى فمشطبٌ

وقوله⁽⁵⁾:

ينسى الكمأة صليلُ البيض والقضبِ

كما أنه كرر استخدام عدد من الكلمات التي تندرج ضمن الحقل الدلالي للشجاعة نحو (الأسد ، الفارس، الصنديد، الكمي، الضيغم، العرين) وذلك نحو قوله⁽⁶⁾:

من ذا يغيرُ على الأسودِ بغاها

وقوله⁽⁷⁾:

ربما أطلعـتـ منه فارساً

وقوله⁽⁸⁾:

يختالُ ما بينَ السُّطورِ كضَيْعَمِ

وقوله⁽⁹⁾:

هذا زعيمُ النَّيلِ حـلـ عرينه

أما في حديثه عن الصبر فنجد استخدام عدد من الكلمات التي تندرج ضمن الحقل الدلالي لصبر نحو (الصبر، الحلم ، لا تجزعن، احتساباً، تجملت) ومن أمثلة ذلك قوله⁽¹⁰⁾:

بعروة الصَّبرِ ولا تعجـ

(١) الغرار: حدّ السهم والرمح والسيف: هامش الديوان 81/2

(٢) الديوان: 141/2.

(٣) المرجع السابق: 160/2.

(٤) المرجع السابق: 19/2.

(٥) المرجع السابق: 173/2.

(٦) المرجع السابق: 99/2.

(٧) المرجع السابق: 309/1.

(٨) المرجع السابق: 150/1.

(٩) المرجع السابق: 119/1.

(١٠) المرجع السابق: 200/1.

دقيقاً، لأن نفسه كانت مصرية خالصة، واستطاع أن يصوغ هذا الشعور في لغة جزلة متينة صياغة باهرة. وبذلك يتبوأ مكانته في تاريخ شعرنا الحديث⁽¹⁾.

وعلى ما يبدو فالدكتور شوقي ضيف نظر لشعر حافظ من زاوية تمسكه بالقوالب القديمة وطريقة القدماء في الصياغة لذلك وصفه بالجزالة والصياغة الباهرة، ولكنه لو نظر إلى معانيه وألفاظه ومدى عمقها لما وصفه كذلك.

وقد ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندي أن السبب في هذه السهولة والبساطة في شعر حافظ أنه شعر يراد به مخاطبة الجماهير لذلك ابتعد عن الألفاظ الصعبة الغريبة حتى يفهمه السامعين بيسر⁽²⁾. ولقد جاءت لغة حافظ بعيدة عن الغموض والتعقيد لأن الغموض وليد الثقافات المتعددة والإبحار في عالم الفلسفة والغوص في عالم النفس الإنسانية، وحافظ كان أحادي الثقافة بغم معرفته البسيطة بالفرنسية ألا أنها لم تكن معرفة عميقة متمكنة، فهو لم يقرأ في الأدب الفرنسي ولو قرأ لظهر أثر ذلك في شعره.

الظواهر اللغوية:

(1) الأساليب البديعية:

1- الاقتباس :

"هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"⁽³⁾.

وقد ذكر الدكتور جابر قمحية أن حافظ كان يقتبس في شعره من بعض الآيات القرآنية أو أجزاء منها وقد كان بارعاً جداً في هذا الاقتباس فهو يضع الآية في مكانها من سياق شعره دون افتعال وتكلف مثل قوله:

أقرضوا الله يُضاعفْ أجركم إِنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ أُجْرٌ مُدَّخِرٌ

مقتبس من قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ

يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(1) الأدب العربي المعاصر في مصر - ص 110.

(2) حافظ إبراهيم شاعر النيل - ص 101 (بتصرف).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة - القزويني 232 - اعتنى وراجع عماد بسيوني زغلول.

وقوله:

وتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَارَقَ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ

مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾
وقوله:

واذْكُرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا مُؤْنَسٌ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ

مقتبس من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبَرٌ أَلَّهَ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾
وبهذا نجد أن حافظ شديد التأثر بالقرآن الكريم مما يعكس عنده نزعة دينية واضحة⁽¹⁾.

135

2 - التضمين:

" هو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبية عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء"⁽²⁾.
ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندي مجموعة من الأبيات التي ضمن فيها حافظ شعره شيئاً من شعر غيره ومنها قوله.

بكينا على فرد وإن بكاءنا على أنفـس لله منقطعات
أخذه من قول الشاعر:

وما كان قيس هلـكـه هـلـكـ واحد ولكنـه بنـيان قوم تـهـدّـما

وقوله:

نامت بمصر وأيقظت لحـ وادث الأيـام سعـد
أخذه من قول بشار ابن برد:

إذا أيقظتك صعـاب الأمور فنبه لها عمـراً ثم نـم
وفي هذه الأمثلة لم يستطيع حافظ أن يضيف جديد إلى المعاني التي استفادها من غيره⁽³⁾.

3 - المبالغة:

" أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً"⁽¹⁾.

(1) الأدب الحديث بين العدالة الموضوعية وجناية التطرف - د/ جابر قمحية - ص 109، 110، 111 - ط 1412هـ - 1992م -
الدار المصرية اللبنانية (بتصرف).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة - القزويني 234 - اعتنى به وراجعه عماد الدين بسوي.

(3) حافظ إبراهيم شاعر النيل - ص 190-192 (بتصرف).

المبالغة كثيرة جداً في شعر حافظ وخاصة في الرثاء، وتعود إلى تقليده للقدماء وتأثره بهم، وقد ذكر الدكتور طه حسين حديثاً دار بينه وبين حافظ حول قوله في رثاء مصطفى كامل⁽²⁾:

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- للخطيب القزويني 205- اعتنى به وراجعته عماد الدين بسيوني.

(٢) الديوان : 149/2.

أيا قبر هذا الضيفُ آمالُ أمــــةٍ فكبر وهلل واللق ضيفك جاثيا
 حيث قال: "وقد سألته - رحمه الله - ذات يوم كيف تتصور القبر جاثيا؟ فقال دعني من نقدك وتحليك،
 ولكن حدثني أليس يحسن وقع هذا البيت في أذنك؟ أليس يثير في نفسك الحزن؟ أليس يصور ما
 لمصطفى من جلال؟ قلت بلى ولكن... قال دعني من لکن، واكتف مثلي بهذا" (1).
 ومن أمثلة المبالغة قوله (2):

أبصروا في حماك غيًّا ونارًا ذاك يهمني وتلك تذكو لهيبا
 ونسوا أن جودَ كفك غيـثٌ ظلٌّ للمرثجي الورودَ قريبا
 وهي ضيفٌ أصابه عنتُ الدهـ رٍ وألقى هذا الفناء رَحيبا

وقوله (3):

علمتُ من تُقَلُّ فانبَعَثْتُ للـ قَصِدِ مِثْلَ انبِعَاثِهِ لِلثَّوَابِ

ورأى الدكتور عبدالحميد سند الجندي أن شخصية حافظ وطبيعته أذكت من روح هذه المبالغة حيث
 قال "واعتقد أن طبيعة حافظ نفسه قد أذكت من روح هذه المبالغة التي يجرى فيها على غبار الأقدمين .
 لأنه كان رجلاً بسيطاً في خلقه، يسرف في الحب ويسرف في الرضا ويسرف في السخط ويسرف في
 الحزن ويسرف في الإخلاص" (4).

كما رأى الدكتور إبراهيم خليل أن بعض مبالغات ح افظ لا يقبلها الذوق حيث قال: "وقد
 يجالغ على عادة القدماء مبالغات لا يتقبلها الحس وتنوعنها ذائقة القارئ:

لهم بكل خضم مســــربٌ نهجُ وفي ذرا كل طود مسلك عجبُ
 لم تبدُ بارقةً في أفق منتجع إلا وكان لها بالشام مرتقب
 ما عابهم أنهم في الأرض قد نشروا فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
 رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا إلى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
 سعوا إلى الكسب محموداً وما فتئت أم اللغات بذاك السعي تكنسب

(١) حافظ وشوقي - د/ طه حسين - ص 173.

(٢) الديوان: 233/1.

(٣) المرجع السابق: 24/1.

(٤) حافظ إبراهيم شاعر النيل - ص 105.

فمثل هذه المبالغات كان سائداً في الشعر القديم لكن الذوق في أيامنا هذه أو حتى في أيام الشاعر لا يتقبل مثل ذلك. ولا يُعلم إن كان الشاعر بهذه المبالغات يمدح الشاميين أم أنه ينسب إليهم طباعاً لا تدعو للاستحسان. فالتمسك بالأوطان خير وأبقى من الجري وراء الكسب، حتى لو كان هذا الكسب يؤدي إلى شيوع العربية في أمكنة بعيدة"⁽¹⁾.

4 - المقابلة:

" هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"⁽²⁾ نحو قوله⁽³⁾:

137

فكم في طريق الشرِّ خيرٍ ونعمةٍ وكـم في طريق الطيباتِ شرور

المقابلة بين (الشر والطيبات) وبين (خير وشرور).
وقوله⁽⁴⁾:

عصفت فوقهم رياح عواتٍ أما أجازت بهم صبا أم دبور

المقابلة بيني (عصفت وجازت) وبين (فوقهم وبهم) و(رياح عوات وصبا).

5 - التقسيم:

" أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها"⁽⁵⁾ وذلك نحو⁽⁶⁾:

الحلمُ حليتهُ/ والعدلُ قبلتهُ/ والسعُ لمختهُ/ كشافةُ الكُربِ

وقوله⁽⁷⁾:

كثيرُ الأيادي/ حاضرُ الصفح/ منصف كثيرُ الأعادي/ غائبُ الحقد/ مُسَعْفُ

وقوله⁽⁸⁾:

(١) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث - د/ إبراهيم خليل - ص 74، 75 - ط2 - 1427هـ / 2007م - دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة - عمان.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة - القزويني 193 - اعتنى به وراجعه عماد الدين بسبوني.

(٣) الديوان: 166/2.

(٤) المرجع السابق: 231/1.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة - القزويني 203 - اعتنى به وراجعه عماد الدين بسبوني.

(٦) الديوان: 14/1.

(٧) المرجع السابق: 22/1.

(٨) المرجع السابق: 118/1.

يا كاسى الخلقِ الرضى / وصاحب الـ أَدبِ السرى / ويافتى الفتيان

6 - الترصيع:

هو نوع من أنواع السجع ويشترط فيه أن يكون " ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية"⁽¹⁾ نحو⁽²⁾:

يكون فقد امرئ للخير منتسب
بالبشر منتقب في الناس محمود
نجد أن (للخير مثل بالبشر) و(منتسب مثل منتقب).

7 - التكرار:

استخدم حافظ " التكرار في التأثير والتطريب بما يوفره التكرار الفني من موسيقى النفس واللفظ"⁽³⁾. فهو " يكرر اللفظ الواحد أو الجملة الواحدة مرة وأكثر من مرة، ليشير السامع ويسترعي انتباهه ويجرفه معه تياره، ويملك عليه عواطفه يصرفها كما يشاء"⁽⁴⁾. وقد يكون التكرار في كلمة أو في جملة أو في شطر كامل وقد يكون التكرار في الحروف وذلك نحو⁽⁵⁾:

هنا جنانُ تعالى اللهُ باريُّه
هنا فمٌ وبنانٌ لاحَ بينهم
هنا فمٌ وبنانٌ طالما نـثرا
هنا الكمي الذي شادت عزائمه
هنا الشهيدُ، هنا رب اللواء، هنا
ضاقت بآماله الأقدارُ والهـمـمُ
في الشرقِ فـجـرٌ تحي ضوءه الأممُ
نثرا تسييرُ به الأمثالُ والحكـمُ
لطالبِ الحقِّ ركنا ليس يـنـهـدمُ
حامى الذمار، هنا الشهمُ الذي علموا

وقوله⁽⁶⁾:

رحمَ اللهُ مـنه لفظاً شهياً
رحمَ اللهُ مـنه طرفاً تقياً
رحمَ اللهُ مـنه شهماً وفيأ
كان أحلى من ردِّ كيـدِ الأعادي
ويميناً تسيـلُ سـيلَ الغـوادي
لـان ملءَ العيونِ في كلِّ نادى

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني 220- اعتنى به وراجع عماد الدين بسويوني.

(٢) الديوان: 132/2.

(٣) خصائص الشعر الحديث- د/ نعمات فؤاد - ص 148-149- دار الفكر العربي.

(٤) الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وحناية التطرف- د/ جابر قمحية- ص 112-113.

(٥) الديوان: 160/2.

(٦) المرجع السابق: 134/2.

وقوله⁽¹⁾:

رجال الغد المأمول إلا بحاجة
رجال الغد المأمول إلا بحاجة
رجال الغد المأمول إلا بحاجة
رجال الغد المأمول إلا بحاجة
رجال الغد المأمول إلا بحاجة
رجال الغد المأمول إلا بحاجة

في المثال الأول كرر حافظ كلمة (هنا) في خمسة أبيات متتالية وجملة (هنا فم البنان) مرتين متتاليتين وفي المثال الثاني كرر جملة (رحم الله منه) في ثلاث أبيات متتالية. أما في المثال الأخير فقد كرر الشطر الأول بأكمله في خمسة أبيات متتالية.

أما التكرار في الحروف فهو نحو⁽²⁾:

فتململتُ جزعا وقالت: حاملٌ لم تدرِ طعمَ الغمضِ منذُ ليالي
وقد علقت الدكتوراة نعمات فؤاد على كلمة "تململت" في هذا البيت بقولها "إن كلمة (تململت) بتجانس حروفها وترتيبها على هذا النسق وجرس لفظها بفعل تكرار الميم واللام وهما حرفا الأمل البارزان ترسل إلى سمعي أنيناً مكبوتاً وكأني أرها تتمزق"⁽³⁾.

8 - الفكاهة والصور الكاريكاتورية:

سوغم ما عرفت به شخصية حافظ إبراهيم من فكاهة ومرح إلا أنه لم يظهر هذا الجانب في شعره إلا على نطاق ضيق. وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن السبب وراء ذلك هو "أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيراً من فكاهته في شعره، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير. وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرسقراطي، ولذلك قلَّ أن يدخلوا - حتى الآن - فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنتره ونحوها، ولم يعرها الأدباء الراقون

(١) المرجع السابق: 42-41/2.

(٢) الديوان: 276/1.

(٣) خصائص الشعر الحديث: 149.

اهتماماً إلا في الأيام الأخيرة؛ فكان حافظ إذا قال شعراً في فكاهة أو مزح، عده من سقط
متاعه، ولم ينظر إليه عندما يتخير شعره للنشر أو التدوين⁽¹⁾ ومن
ذلك قوله⁽²⁾:

ولقد عجبـتُ لبخـلـه
لا يصـرفُ السحتوتَ
لـو أن في إمكانـه
لاختارَ سـدَّ الفتحتيـه
ولكفـفُ المتحجـرِ
إلا وهو غيرُ مخـيرِ
عيشا بغـيرِ تضـورِ
نـ وقال: يا جيبُ احذرِ

(2) الأساليب الإنشائية:

1- الاستفهام:

140

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وقد يخرج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معانٍ
أخرى تستفاد من سياق الكلام⁽³⁾. وذلك نحو قوله⁽⁴⁾:

أتشقى بهـدٍ سما بالعلوم
الاستفهام في هذا البيت خرج لمعنى الاستنكار.
وقوله⁽⁵⁾:

أعزى فيك أهلك، أم أعزى
عفاة الرأس، أم همم الكرام؟
الشاعر في هذا البيت استخدم أسلوب الاستفهام وقصد به التحسر.

2- الأمر:

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء. وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى
تستفاد من سياق الكلام⁽⁶⁾.
وقوله⁽¹⁾:

(1) مقدمة الديوان: 67.

(2) الديوان: 194/1.

(3) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني 81-87- اعتنى به وراجعته عماد الدين بسيوني.

(4) الديوان: 262/1.

(5) المرجع السابق: 245/2.

(6) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني 87، 88- اعتنى به وراجعته عماد الدين بسيوني.

فاوضُ فـخلفكُ أمةٌ قد أقسمتُ
ألا تنـامُ وفي البلاد دـخيلُ
فـعل الأمر (فاوض) خرج لمعنى التشجيع والحث فالشاعر يحث أحد القادة السياسيين على التفاوض مع
الإنجليز باسم الشعب والمطالبة بالاستقلال والحرية.

وقوله⁽¹⁾:

فاكتسبوا الأجرَ ولا تبتغوا شــــراه بالثمنِ البخسِ
فعل الأمر (اكتسبوا) خرج لمعنى النصح والإرشاد فالشاعر يرشد الناس إلى البذل في سبيل الله ليحصلوا
على الأجر في الآخرة.

3- النهي:

وهو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء. وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ
أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال⁽²⁾. وذلك نحو قوله⁽³⁾:

لا تيأسى، وتجلدُ أراكَ شهماً ركينا

النهي في قول الشاعر (لا تيأسى) وقد خرج النهي إلى معنى النصح والإرشاد فهو ينصح أحد الجرحى
بالصبر والتجلد على ما أصابه.

وقوله⁽⁴⁾:

لا تظنُّوا بنا العقوقَ ولكُنْ أرشدونا إذا ضللنا الرّشــــادا
لا تقيدوا من أمّةٍ بقيتــــل صادت الشمسُ نفسه حينَ صاد

النهي في قوله (لا تظنوا) في البيت الأول وقوله (لا تقيدوا) في البيت الثاني والنهي في كلا الجملتين خرج
لمعنى الترجي.

4- النداء:

وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو. ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى
تستفاد من القرائن⁽⁵⁾.
وذلك نحو قوله⁽⁶⁾:

يُؤدِّيكَ قد أزدريت بالعلم والحجا ولم تُبَدِّقِ للتعليم يا (لرُدْ) معهدا

النداء في قوله (يالرد) وهذا النداء خرج لمعنى الزجر والتوبيخ.

(١) الديوان: 298/1.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني: 88/3- شرح وتعلق د/محمد عبد المنعم خفاجي - ط3- دار الجيل - بيروت.

(٣) الديوان: 74/2.

(٤) المرجع السابق: 20/2.

(٥) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة-الخطيب القزويني 91/3- شرح وتعلق د/محمد خفاجي.

(٦) الديوان: 28/2.

وقوله⁽¹⁾:

يا شجاعاً وما الشجاعة إلا الـ
صـ برُّ لا الخوضُ في صدور الصعابِ
النداء في قوله : (يا شجاعاً) وقد خرج معنى هذا النداء للإغراء.

5- التمني:

وهو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيته⁽²⁾. وذلك نحو قوله⁽³⁾:

ليتها تسمعُ مني قصَّةً
ذاتَ شجورٍ وحديثاً عجباً

الشاعر في هذا البيت استخدم (ليت) لإبراز المرحو في صورة المستحيل مبالغة في بعد تحققه وهو أن تستمع أمته لنصحه وتتخذ من أمة اليابان قدوة.

ولقد تميزت اللغة الشعرية عند حافظ بطواهر أسلوبية أخرى، كالطباق والجناس والتصريع ورد العجز على الصدر ولم نذكرها هنا لأننا تناولناها - سابقاً - في مبحث الموسيقى لأنهما من أهم مكونات الموسيقى الداخلية.

وقد ظهر لي من خلال دراستي لديوان حافظ إبراهيم أن ديوانه يضم بعض التعبيرات والألفاظ العامية والتي يبدو أنها جاءت نتيجة لتأثر حافظ إبراهيم بلغة الصحف وقد رأى الدكتور شكري محمد عياد أن: "لمثل هذه العبارات أثر غير هين في رواج شعر حافظ لدى الجماهير، وسرعة تقبله في المحافل. فالعبارات المألوفة التي تتردد كل يوم، ولا تحمل أي معنى جديد، تطرب الأكترية لأنها توهمها أنها تعلم وهي لا تعلم، وتورد عليها ما تجده" على طرف ألسنتها "، وفي هذا ما فيه من إرضاء لغورها. ولكن مثل هذه الأبيات عند حافظ لم تكن لترضى الشعراء وطلاب البلاغة"⁽⁴⁾.

والحقيقة أن حافظ من أوائل الشعراء الذين حاولوا تبسيط اللغة الفصحى وتقريبها من لغة الشعب ولعل عذر حافظ أن كثير من الألفاظ العامية فصيح وصحيح. ولقد شاع هذا الأسلوب بعد حافظ وظهر بكثرته عند نزار قباني والدكتور غازي القصيبي والأمير عبدالرحمن بن مساعد آل سعود

(1) الديوان: 240/2.

(2) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني 81 - اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيني.

(3) الديوان: 8/2.

(4) قراءة أسلوبية لشعر حافظ - د/شكري محمد عياد - ص 17 - فصول.

وقد وصلوا به إلى القمة وأطلق على هذه اللغة البسيطة القرية للعامية مصطلح اللغة الثالثة. ولقد لاقت رواجاً كبيراً في عصرنا الحاضر⁽¹⁾.

وعلى الرغم من انتماء حافظ للاتجاه المحافظ المتمسك بتقاليد القدماء إلا أنه وقع في بعض الأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية. وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الحميد سند الجندي وذكر بعض الأمثلة منها قوله:

سما فوقه والشرق جدلان شيقٌ لطلعته والغربُ جدلانُ يرقُبُ

فهو يريد بكلمة (جدلان) مخذول، ولقد بحثنا عن هذه الصيغة بهذا المعنى في معاجم اللغة ولم نجدها وعلى ما يبدو أن حافظ ذكرها في مقابل كلمة (جدلان) في الشطر الأول. وقوله:

ولا تنس من أمسى يقلبُ طرفهُ فلم ترَ إلا أنتَ في الناسِ عيناهُ
والصواب أن يقول: (إلا إياك) أو (إلاك) بضمير النصب.
وقوله:

رجوتك مرّةً وعتبتُ أخرى فلا أجدى الرجاءُ ولا العتابُ

والصواب أن يقول: (فما) بدل (فلا) حتى يستقيم الوزن. وقد برر حافظ هذه الأخطاء بأنها نتيجة تأثره بلغة الصحافة⁽²⁾

بيغم هذه السطحية والمباشرة في لغة حافظ الشعرية إلا أن هذه اللغة البسيطة استطاعت أن تعانق قلوب الشعب وتعبر عنهم، فشعر حافظ كان بمثابة فيلم وثائقي جسد كل ما كان يدور في المجتمع المصري من أحداث ومناسبات وكل ما طرأ عليه من تغيرات في الأخلاق والعادات وكل ما تعرض له المواطن المصري من خيبات ونكبات وظلم واضطهاد. ومن خلال هذه اللغة البسيطة استطاع حافظ أن يلفت النظر إلى الأخلاق الإسلامية التي بدأت تتراجع في المجتمع ويرى أن على المجتمع أن يتمسك بهذه الأخلاق ويقاوم محاولات التغيير التي تُخرج عنها أو تسعى إلى إقامتها.

(1) انظر : مفهوم الشعر عند غازي القصيبي - رسالة ماجستير - إعداد علي بن عتيق المالكي :

78-87 - إشراف أ.د/صالح بن سعيد الزهراني - جامعة أم القرى - 1424هـ - 2004م - مكة المكرمة.

(2) حافظ إبراهيم شاعر النيل - 186-189.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بعد هذه الرحلة مع حافظ إبراهيم وشعره في الأخلاق يطيب لي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

- 1- إن شعر الأخلاق عند حافظ عبارة عن أبيات جاءت في ثنايا قصائد مدحه وراثته وشكواه وشعره السياسي ولم يفرد لها قصائد كاملة.
 - 2- التكافل كان أكثر فضيلة تناوها حافظ في شعره ولعل ذلك بسبب تردى ال وضع الاقتصادي في مصر في تلك الفترة.
 - 3- تناول حافظ للأخلاق كان سطحيًا وخاليًا من أي عمق.
 - 4- بغم ما كان لحافظ من سقطات إلا أنه كان ذا نزعة دينية واضحة.
 - 5- شعر حافظ لا يخلو من الصور الفنية المستحسنة رغم ما وجد فيها من ضعف.
 - 6- اهتمام حافظ بعنصر الموسيقى في شعره وفر له قوة التأثير في السامعين.
 - 7- كان حافظ يقصد بشعره مخاطبة الجماهير لذلك حرص على أن يختار الألفاظ السهلة والبسيطة.
 - 8- حافظ من خلال لغته البسيطة ومشاركته بشعره في كل ما يخص مصر والشعب المصري استحق بجدارة أن يكون شاعر النيل.
 - 9- استخدام حافظ إبراهيم لبعض التعبيرات العامية مهد لظهور ما يسمى (اللغة الثالثة في الشعر العربي الحديث) وقد لاقت رواجاً كبيراً.
- وأخيراً أود أن أقول: إنني اجتهدت في بحثي عن الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم، فإن قصرت أو أخطأت في شيء فهذا العمل جهدي وطاقتي التي استطعت وإن أصبت في شيء فهذا من تو فيق الله سبحانه وفضله.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو العتاهية أشعاره وأخباره - طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تنشر من قبل - عني بتحقيقها د/شكري فيصل - مطبعة جامعة دمشق - 1384هـ - 1965م - دمشق.
- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر - د/عبد الحميد جوده - 1986م - دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع.
- إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي - طبع بالمطبعة العامرية بمصر المحمدية - 1326هـ.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبدالرحمن حبنكة الميداني - ط1 - 1423هـ - 2002م - دار القلم - دمشق.
- الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة - د/ أحمد السحمراني - ط1 - 1408هـ - 1988م - دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- الأخلاق في الإسلام - د/ كايد قرعوش - د/ خالد القضاة - د/ عبدالرزاق أبو البصل - د/ محمد حسن الشليبي - د/ محمد نصر موسى - د/ نصر البنا - د/ وليد السعد - ط4 - 1424هـ - 2004م - دار المناهج للنشر والتوزيع - عمان - الأردن.
- الأخلاق في الإسلام - د/ عبداللطيف محمد العبد - ط2 - 1409هـ - 1988م - دار التراث - المدينة المنورة.
- الأخلاق في الشريعة الإسلامية - د/ أحمد عليان - ط1 - 1420هـ - 2000م - دار النشر الدولي - الرياض.
- أخلاق المسلم وعلاقته بالخلق - أ.د/ وهبة الزحيلي - ط1 - 1423هـ - 2002م - دار الفكر - دمشق - دار الفكر المعاصر - بيروت.
- آداب المجتمع في الإسلام - محمد جمال الدين رفعت - طبعه ونشره عبدالله إبراهيم الأنصاري - إدارة إحياء التراث الإسلامي - قطر.
- الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف - د/ جابر قمحية - ط1 - 1412هـ - 1992م - الدار المصرية اللبنانية.
- الأدب المفرد - الإمام أبي عبدالله محمد البخاري - ص148 - تحقيق د/ علي عبد الباسط مزير - علي عبد المقصود رضوان - ط1 - 1423هـ - 2003م - مكتبة الخانجي - القاهرة.
- الأدب وفنونه - د/ عز الدين إسماعيل - ط8 - دار الفكر العربي - القاهرة.
- الأدب وفنونه - د/ محمد مندور - ط1 - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.

- الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني - اعتنى به وراجعها عماد الدين بسيني - ط1 - 1426هـ-2005م- دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.
- الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني- شرح وتعليق د/ محمد عبدالمنعم خفاجي - ط3- دار الجيل- بيروت.
- التجديد في الشعر الحديث- د/ يوسف عز الدين- ط1 - 1406هـ-1986م- دار البلاد - جدة.
- التدين والصحة النفسية - د/ صالح بن إبراهيم عبداللطيف الصنيع - ط1- 1421هـ - 2000م - أشرف على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة- طاهر أحمد الزاوي- 1951م- مطبعة الرسالة - عابدين.
- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث- د/ نعيم اليافي- ط1- 2008م صفحات للدراسة والنشر- دمشق.
- تعريفات الراغب الأصفهاني - د/ عمر عبدالرحمن الساريسي - ط1- 1425هـ- 2004م - عالم الكتب الحديث- إربد- الأردن.
- التعريفات- العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني- تحقيق وزيادة د/ محمد عبدالرحمن المرعشلي - ط1- 1424هـ- 2003م دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- التفسير الكبير- الإمام الفخر الرازي- ط3- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- التفسير النفسي للأدب- د/ عز الدين إسماعيل - ط4- دار غريب للطباعة- القاهرة.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- أبي أحمد بن محمد الرازي (مسكويه)- قدم له الشيخ حسن تميم- ط2- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.
- التوقيف على مهمات التعاريف- محمد عبدالرؤوف المناوي- تحقيق د/ محمد رضوان الداية - ط1- 1410هـ-1990م- دار الفكر المعاصر- بيروت- دار الفكر- دمشق.
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن- الرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني - حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ود/ محمد زغلول سلام- ط2- دار المعارف- القاهرة.
- حافظ إبراهيم شاعر النيل - د / عبدالحميد سند الجندي - ط4- دار المعارف- القاهرة.
- حافظ إبراهيم ونظرات في شعره- د/ محمد بن سعد بن حسين- ط1- 1404هـ- 1984م- دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع- الرياض.

- حافظ وشوقي - د/طه حسين - ط2- 1953م - دار الجهاد- القاهرة.
- خصائص الشعر الحديث - د/ نعمات فوائد- دار الفكر.
- خلق المسلم- محمد الغزالي- ط2- 1406هـ- 1986م- دار القلم للطباعة والنشر.
- دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر- ط3- 1413هـ- 1992م- دار مدني- جدة.
- ديوان ابن دراج القسطلي- حققه وعلق عليه وقدم له د/ محمود علي مكي- ط1- منشورات المكتب الإسلامي- دمشق .
- ديوان حافظ إبراهيم - ضبطه وصححه وشرحه ورتبه- أحمد أمين وإبراهيم الأبياري - ط7- 1955م- المطبعة الأميرية - القاهرة.
- ديوان حافظ إبراهيم - تقديم فاروق شوشة - طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ وشوقي - 2007م.
- ديوان صفي الدين الحلي- 1403هـ - 1983م - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.
- زبدة التفسير بمامش مصحف المدينة النبوية- د/ محمد سليمان عبدالله الأشقر- الطبعة الشرعية الوحيدة- دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن.
- السنن الكبرى- الإمام أبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي- في ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني- دار الفكر.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى- صنعه الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني- 1363هـ- 1944م- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة.
- شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية - د/ وفا ء فهمي السنديوني- ط2- كميوجرافيك آرت سنتر للجمع التصويري والطباعة المميزة- القاهرة.
- صحيح مسلم بشرح النووي- ط2- 1392هـ- 1972م- دار الفكر- بيروت.
- صفات المؤمنين في القرآن وآثارها على الإنسان- بادي أحمد الكنتي العقبي القرشي- قدم له د/ عبدالعزيز الحميدي- 1422هـ- مكة المكرمة.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي - د/ جابر عصفور - دار المعارف- القاهرة.
- الصورة الفنية في النقد الشعري - د/ عبدالقادر الرباعي- ط1- 1405هـ- 1984م- دار العلوم - الرياض.
- الصورة في شعر بشار بن برد - د/عبد الفتاح صالح نافع - 1983م - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان.

- العروض وإيقاع الشعر العربي - د/ عبدالرحمن ترماسين - ط1 - 2003م - دار الفجر للنشر والتوزيع - القاهرة.
- علم الأخلاق الإسلامية - د/ مقداد يالجن - ط2 - 1424هـ - 2003م - دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض.
- علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقى - د/ عبدالحكيم العبد - ط3 - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.
- علم اللغة العربية - د/ محمود فهمي حجازي - وكالة المطبوعات - الكويت.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري - تقديم وتعليق عبدالقادر شيبه - ط1 - 1421هـ - 2001م.
- فتح الخلاق في مكارم الأخلاق - أحمد سعيد الدجوى - تحقيق عبدالرحيم مارديني - ط1 - 1411هـ - 1991م - مكتبة دار المحبة.
- فصول في الشعر ونقده - د/ شوقي ضيف - ط2 - دار المعارف - القاهرة.
- الفضائل الخلقية في الإسلام - د/ أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم - ط1 - 1409هـ - 1989م - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة.
- فلسفة الإيقاع في الشعر العربي - د/ علوي الهاشمي - ط1 - 2006م - وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني - مملكة البحرين.
- في الأدب الحديث - د/ عمر الدسوقي - نسخه مصورة عن ط1 - 1420هـ - 2000م - دار الفكر العربي - القاهرة.
- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الاجتماعية - أ.د/ محمد صابر عبيد - منشورات اتحاد الكتاب العرب - 2001م - دمشق.
- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجري - د/ جمال نجم العبيدي - 2003م - دار زهران - عمان.
- مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث - د/ إبراهيم الخليل - ط2 - 1427هـ - 2007م - دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة - عمان.
- المطول على التلخيص - سعد الدين التفتلثاني - 1330هـ - مطبعة أحمد كامل.
- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها - د/ محمود محمد بابلي - 1405هـ - 1985م.
- معجم مقاييس اللغة - أبي الحسن بن فارس اعتنى به د/ محمد عوض وفاطمة محمد أصلان - ط1 - 1422هـ - 2001م - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد النجا- دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع - اسطنبول - تركيا.
- مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة - د/ فاطمة سعيد حمدان - 1421هـ - 2000م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني- تقديم وتحقيق محمد حبيب ابن الخوجه- ط3- دار الغرب الإسلامي- بيروت.
- منهاج المسلم- أبو بكر الجزائري- ط2-1990م.
- موسيقى الشعر - د/ إبراهيم أنيس- ط4- دار القلم- بيروت.
- موسيقى الشعر العربي- د/ حسني عبدالجليل يوسف- 1989م- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- موسيقى الشعر العربي د/ شكري محمد عياد- ط1- 1968م- دار المعرفة.
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية- د/ محمد عبدالله عفيفي- ط1- 1408هـ - 1980م- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض.
- النقد الأدبي- أحمد أمين- ط4- 1387هـ- 1967م- دار الكتاب العربي - بيروت.
- النقد الأدبي الحديث- د/ محمد غنيمي هلال- دار الثقافة- دار العودة- بيروت.

الدوريات:

- فصول - المجلد الثالث- العدد الثاني- يناير- فبراير- مارس- 1983م.

الرسائل الجامعية:

- مفهوم الشعر عند غازي القصيبي- علي عتيق علي المالكي- إشراف أ.د/ صالح سعيد الزهراني - 1424هـ- 2004م.

65	الأمانة
67	فضائل أخرى
70	المبحث الثاني
71	الردائل
72	الظلم
76	التواكل
82	الغدر
84	الكذب
86	البخل
88	مذمومات الأخرى
91	الفصل الثاني : الدراسة الفنية
92	المبحث الأول (الصورة)
93	مفهوم الصورة الفنية ووظائفها
95	الصور الفنية في شعر حافظ إبراهيم
95	الاستعارة
95	استعارة تصريحية
96	استعارة مكنية
98	التشبيه
98	التشبيه المرسل
98	التشبيه الضمني
98	التشبيه البليغ
100	المجاز
100	المجاز المرسل
101	الكناية
101	الكناية عن الصفة
101	الكناية عن الموصوف
107	المبحث الثاني (الموسيقى)
108	الموسيقى

108	أولاً: الموسيقى الخارجية
109	الأوزان
114	القوافي
116	قوافي مطلقة
117	قوافي مقيدة
118	عيوب القافية
118	الإيطاء
118	سناد التوجيه
119	الإقواء
119	ثانياً: الموسيقى الداخلية
120	التصریح
120	رد الإعجاز على الصدور
121	الجناس
121	الطباق
123	المبحث الثالث (اللغة)
124	اللغة
125	الأفكار والمعاني
132	المعجم الشعري
135	الظواهر اللغوية
135	الأساليب البديعية
135	الاقتباس
136	التضمين
136	المبالغة
138	المقابلة
138	التقسيم
139	الترصیح
139	التكرار
140	تقليد القدماء

140	الفكاهة والصور الكاريكاتورية
141	الأساليب الإنشائية
141	الاستفهام
141	الأمر
142	النهي
142	النداء
143	التمني
145	الخاتمة
146	فهرس المصادر والمراجع
151	فهرس الموضوعات